الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف –المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ
رقم:.....

علاقة السلطة بالسكان في الجزائر خلال العهد العثماني 1518–1830

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ
تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبة:
– حياة محروق

إشراف الأستاذ:
د–منى صالحي

لجنة المناقشة		
الأستاذ(ة)	الجامعة	الصفة
– مصطفى عبيد	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	رئيسا
– منى صالحي	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	مشرفا ومقررا
– إبراهيم مرزقلال	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1439–1440هـ/ 2018–2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي جعل ألسنتنا عامرة بذكره وقلوبنا بخشيته وأسرارنا بطاعته والحمد والشكر له على أن أنعم علي بنعمة العلم ونور الفهم وأعانني على إتمام هذا العمل

وأشكر كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد ، وكل من ساندني ووقف إلى جانبي بداية بالأستاذة " صالحي منى " التي كانت لي نعم الناصحين ورافقتني في كل خطوة خطوتها في بحثي هذا ، وأدعو لها الله أن ينير دربها وأن يجعلها نورا على نور ، وأن يسدد خطاها في بذل المزيد من العطاء

دون أن أتناسى من تعلمت على يدهم ومن كانوا لنا نعم الناصحين إلى جميع الأساتذة وأخص بالذكر أساتذة قسم التاريخ كلّ باسمه .

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى العاملين بمخبر البحث في الثورة وعلى رأسهم الدكتور" عبد الله منقلاتي" الذي كانت له مساهمة في تزويدي بالمادة العلمية.

إليكم فائق الشكر والتقدير

الإهداء

الحمد لله ما تعطرت القلوب بذكره ... واطمأنت القلوب بحبه ... وترنمت الأصوات بتسبيحه وطابت الجراح بتهليله ... إلى رسول السلام ومن بسط يده للوئام ... إلى نبي الرحمة وقائد الأمة ... من بلغ الرسالة وأدى الأمانة إلى سيد الأنام ومخرج البشرية من كهوف الظلام ... خير من علم وتعلم إلى الحبيب سيد المرسلين صلوات ربي وسلامه عليه وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين

إلى من تشع حياتي بنور حنانه ... إلى من كرمني المولى عزوجل برضوانه ... إلى من أنار لي دربي بضيائه إلى أعز الناس أبي حفظه الله "عبد الكريم ".

إلى من ينطق العالم باسمها ... إلى من غمرتني بحنانها ... إلى من أفنت عمرها لتراني كوكبا دريا في سمائها إلى من حباني الله بدعواتها وأسعدني برضاها ... إلى حبيبتي أمي الغالية حفظها الله.

إلى لآلئ قلبي ونور صدري أخواتي الحبيبات ... إلى أسداي وتوأما روحي أخوايا رعاهما الله.

إلى جدي شفاه الله وحفظه، وجدتاي أطال الله في عمرهما، إلى خالاتي وأخوالي وأعمامي.

إلى رفيقات الدرب وصديقات العمد إلى كل طلبة قسم التاريخ لاسيما الدفعة الرابعة.

إلى كل من عرفتهم في حياتي وحفظتهم في قلبي وذكرياتي.

إلى كل من أحبني وأضفى البسمة على محياي. إليكم أهدي ثمرة جهدي.

جيهان محرز وراق

التعريف بالموضوع: شكلت مرحلة التواجد العثماني في الجزائر منذ مطلع القرن 16 م والتي فاقت ثلاثة قرون أهم الفترات التاريخية، فقد أصبحت الجزائر منطقة ذات تنوع اجتماعي بعد انضمام فئات جديدة كفئة الأتراك والكراغلة والتي كان لها دورا مهما في الجانبين السياسي والإداري وظهور سلطة جديدة في البلاد، كما تطورت المدن الجزائرية فعرفت حركة من الهجرات الداخلية والخارجية، فهاجر أهل البوادي والمدن الصحراوية فعرفت بفئة البرانية، وهجرة خارجية تمثلت في نزوح الأندلسيين، وتوافد المسيحيين إليها من مختلف البلدان الأوروبية، واستقرار العائلات اليهودية بها، كل هذا أدى إلى ظهور نسق اجتماعي جديد داخل المجتمع الجزائري.

الإشكالية: تتمثل إشكالية الموضوع فيما يلي:

_ ما مدى ارتباط السلطة بالمجتمع الجزائري؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات تمثلت في:

_ كيف كانت علاقة السلطة بالسكان؟

_ ماهي أبرز مظاهر هذه العلاقة؟

_ هل كانت علاقة السلطة بالسكان ثابتة طيلة فترة التواجد العثماني؟

أسباب اختيار الموضوع :

_ التعرف على المجتمع الجزائري إبان الحقبة العثمانية وفئاته المختلفة.

_ الرغبة في الاطلاع على واقع العلاقة التي جمعت بين السلطة وفئات المجتمع الجزائري طيلة فترة تواجد العثمانيين في الجزائر.

المناهج:

وللإجابة على التساؤلات سالفة الطرح بما يضمن الإلمام بجوانب الموضوع ارتأيت الاعتماد على المناهج التالية:

_ المنهج التاريخي الوصفي والذي استخدمته لتتبع المراحل التاريخية حول علاقة السلطة بالسكان، ووصف الأحداث التاريخية المؤثرة على هذه العلاقة، بالإضافة إلى المنهج التحليلي الذي اعتمدته في توضيح ظروف كل من السلطة والسكان والأسباب التي أدت بالطرفين إلى تغيير أسلوب تعاملهما وتغيير علاقات كل واحدة مع الأخرى.

هيكلة الموضوع:

اعتمدت على هيكلة بناء اشتملت على مقدمة متبوعة بمدخل وفصلين، فكان المدخل بعنوان التركيبة السكانية للمجتمع الجزائري، تضمن الفئات السكانية التي عرفها المجتمع الجزائري سواءً السكان الأصليين للجزائر أو الفئات التي توافدت عليه من الخارج، أما الفصل الأول فجاء بعنوان علاقة السلطة بسكان المدن ويضم أيضا شرائح سكان المدن والتي كانت تربطها علاقة مع السلطة وأبرز هذه الفئات نجد العلماء، الكراغلة، اليهود المسيحيون والوافدين، يليه الفصل الثاني بعنوان علاقة السلطة بسكان الأرياف وهو الآخر تناولت فيه سكان الريف الجزائري والذي تم تقسيمه إلى فئات حسب علاقاتها بالسلطة، وأخيرا خاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

المصادر والمراجع:

اعتمدت في انجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع تنوعت بين المصادر العربية مثل المرآة لحمدان خوجة، فتح الإله ومنته لصاحبه أبي راس الناصري مذكرات أحمد شريف الزهار، وبعض الرحلات مثل رحلة محمد الكبير لابن هطال

التلمساني، الرحلة العياشية للعياشي، رحلة الورتلاني المسماة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، رحلة الأغواطي، إلى جانب بعض المصادر الأجنبية مثل قنصل أمريكا في الجزائر لوليام شالر ورحلة العالم الألماني لهابنسترايت، مذكرات أسير الداي لكاثكارث، أما بالنسبة للمراجع فقد اعتمدت على أكثر المؤلفين الجزائريين المعروفين بتخصصهم لهذه الفترة مثل أبو القاسم سعد الله، ناصر الدين سعيدوني، حنيفي هلايلي وغيرهم.

الصعوبات: واجهتني عدة صعوبات يمكن حصرها في:

_ الوقت الضيق الذي لا يكفي الطالب للبحث الدقيق.

_ صعوبة ترجمة الكتب الأجنبية التي لها علاقة بموضوع الدراسة.

_ تشابه الكتب في نقل الأحداث مما يعرقل عملية التوسع والتعمق في الموضوع.

عرفت الجزائر خلال القرن 16 م تحولاً سياسيا واجتماعيا، بعدما أصبحت إيالة عثمانية، هذا ما أدى إلى تغيير في النظام السياسي، بالإضافة إلى تغيير في التركيبة الاجتماعية وذلك بانضمام فئات جديدة، كما شهدت الجزائر خلال هذه الفترة حركة من الهجرات داخلية وخارجية زادتها تنوعاً.

كان هناك اختلاف كبير حول عدد السكان في الجزائر نظراً للإحصائيات الموجودة في الكتابات سواءً الأجنبية أو المحلية والتي لم تكن دقيقة، فلطالما تخللتها عبارات نسبية مثل حوالي، تقريبا وغيرها من العبارات التقريبية، فلم يتم إحصاء السكان حسب عدد الأفراد بل كان يتم إحصاؤهم بحساب عدد الكوانين المشتعلة، إضافة إلى ذلك لم تهتم السلطات بعمليات الإحصاء، لكن المتفق عليه هو أن الجزائر كانت عامرة بالسكان قبل أن تتعرض للأمراض وموجات الأوبئة التي كانت تجتاح البلاد خلال فترات زمنية متقاربة والتي أودت بأعداد هائلة من السكان، ومعظم المؤرخين يرتاحون لثلاثة ملايين نسمة وهو رقم معقول بالنسبة للفترة الأخيرة من العهد العثماني، أي بعدما تعرضت البلاد للكثير من الأوبئة والكوارث الطبيعية [1]، ويمكن تقسيم سكان الجزائر إلى:

أولا_ الطبقة الخاصة في الجزائر: وتضم هذه الطبقة:

1_الأتراك: الذين جاؤوا إلى الجزائر نتيجة الحملات الصليبية التي تعرضت لها منطقة المغرب الإسلامي، فبعد سقوط غرناطة 1492 وفي ظل حالة الضعف والانقسام الخطير الذي ساد منطقة المغرب الإسلامي والتنافر والتناحر الذي طغى على علاقات إماراته ودويلاته، كان من الطبيعي أن تمتد أطماع الانتقام والتوسع لدى الملوك الإسبان

[1] محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص47.

إلى سواحل المغرب الإسلامي بعدما تأكدوا من حالة الضعف والفرقة السائدة[1] فهوجمت السواحل الجزائرية وأحتلت أهم مواقعها ومراكزها الإستراتيجية ومرافيها ومدنها (1505–1512) كوهران والمرسى الكبير وبجاية وغيرها من المناطق الساحلية.[2]

أمام هذه الأوضاع ظهر عروج كمدافع عن الجزائر وإنقاذ المسلمين من سيطرة النصارى حتى وفاته وتسلم أخوه خير الدين السلطة من بعده، وطلب من السلطان العثماني سليم الأول الانضواء تحت حكمه[3]، فاستجاب السلطان العثماني لذلك وأرسل أسطولا بحريا مدعوما بألفي جندي انكشاري وكمية من الذخيرة والعتاد الحربي مدعوما بأربعة ألاف متطوعا [4] وبذلك أصبحت الجزائر إحدى إيالات الإمبراطورية العثمانية يدعى فيها في خطبة الجمعة باسم السلطان سليم وتضرب العملة باسمه.[5]

وكان الأتراك يمثلون الطبقة الحاكمة وتضم في صفوفها الموظفين الساميين من السياسيين والإداريين والجنود، بالإضافة إلى المسيحيين الذين دخلوا الإسلام والذين لم يكونوا بمعزل عن المجتمع بل اختلطوا بأهله وتقلدوا المناصب السامية وكانوا يعرفون بالأعلاج.[6]

---

[1] فوزي سعد الله، **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، ط2، دار الأمة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2004، ص124.

[2] عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج3، دار الأمة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2010، ص14.

[3] مؤيد محمود محمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، **أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518– 1830)**، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية(مجلة علمية محكمة)، مج5، العدد16، نيسان 2013، ص413.

[4] سفيان صغيري، **العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671 – 1830)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2011، ص24.

[5] فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العثمانية**، تح: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981، ص231.

[6] عمار عمورة، **موجز في تاريخ الجزائر**، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص107.

2 _الكراغلة: الكراغلة أو الفرغلان تحوير للفظ التركي قول أوغلي أي أبناء العبيد[1]، والعبد هنا كان يطلق على الجندي الإنكشاري بمعنى الولاء للسلطان العثماني وليس العبودية بمعناه الاجتماعي المعروف[2]، وفئة الكراغلة تكونت نتيجة تزاوج أفراد الجيش التركي الانكشارية بنساء البلاد وظهرت لأول مرة في المدن التي تقيم بها الحاميات التركية وهي الجزائر وتلمسان ومعسكر وقلعة بني راشد ومستغانم وغيرها من المدن الجزائرية ، وكانت صلة الدم التي تجمع الكراغلة بالأتراك سببا في أن تحتل هذه الفئة المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي.[3]

3 _الحضر: كانوا طبقة غنية منحدرة من أهل البلاد ومهاجري الأندلس الذين أجبروا على مغادرة الأندلس وقد تكاثر عددهم وألفوا فئة مستقلة كانت ذات فعالية اجتماعية واقتصادية [4]، وكان الحضر سياسيا في المرتبة الثالثة بعد الأتراك والكراغلة، وكانوا يمتهنون التجارة وغالبا ما كانوا راضين بوضعهم ولا يطمحون إلى مناصب سياسية [5] ويندرج ضمن الحضر:

_ فئة العلماء: وتضم هذه الفئة في الغالب رجال الدين والقضاة والمفتون والأسر الشريفة، وهذه الفئة موجودة سواء في البادية أو الحاضرة على رغم ماذهب إليه أبوراس

---

[1] أو. ج. هابنسترايت، **رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145 هـ/ 1732 م)**، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار المغرب الإسلامي، تونس، [د ت]، ص29.

[2] كمال بيرم، **فئة الكراغلة بالجزائر كراغلة مدينة المسيلة أنموذجا**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 11، جامعة المسيلة، الجزائر، ديسمبر 2016، ص196.

[3] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **الجزائر في تاريخ العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 ص ص94 – 95.

[4] محمد مقصودة، **الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة وهران، الجزائر، 2014، ص 54.

[5] أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر [د ت]، ص65.

الناصري عن حالة العلم في البوادي في قوله:" **آفات العلم البادية**" واستند في ذلك لقول الإمام الشافعي:" **لا تسكن الريف فيذهب علمك وتهتك حرمتك**"[1].

كان لعلماء الجزائر مكانة مرموقة داخل الجزائر وخارجها، وهذا ما يؤكده ابن زاكور حيث يقول عنهم :" **غرار أعلام ينجلي بهم الإظلام وشموس أئمة تنفرج بهم كل غمة وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة من رجال كالجبال وأحبار كالأقمار طلعوا في بروج سعودها بدورا ونورا، فاهتديت بأنوارهم السنية إلى قطف ما راق من أنوارهم الجنية ورتعت في رياض آدابهم فتمتعت ونهلت من حياض علومهم** "[2]، وقد لعبت هذه الفئة دورا أساسيا في الحفاظ على مبادئ الإسلام.[3]

ثانيا– الطبقة العامة في الجزائر: تشمل هذه الطبقة:

1_ البرانية: هم الجزائريون الذين كانوا يأتون من داخل البلاد ومن نواحي مختلفة إلى المناطق الحضرية للعمل بها كبني ميزاب و الأغواطيون وغيرهم، حيث تعرف كل فئة باسم الجهة التي تنتمي إليها وكانت تختص كل جماعة بمهنة تشتهر بها بحيث يرأسها أمين يعينه الباي وغالبا ما كانوا يعودون إلى مناطقهم بعد انتهاء عملهم.[4] كما

---

[1] محمد أبوراس الناصري، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، [د ت]، ص22.

[2] الفاسي ابن زاكور، **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان**، تح: مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص40.

[3] حميدة عميراوي، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر 2005، ص61.

[4] نورالدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر**، دار الحضارة، الجزائر، [د ت]، ص 143.

يندرج ضمن هذه الفئة الزنوج حيث كانت مدينة الجزائر أكبر المدن التي توجد بها ظاهرة الزنوج لارتباطها بإفريقيا جنوب الصحراء و التي تعد المصدر الأساسي للعبيد والزنوج.[1]

2_ سكان الأرياف: كانوا يشكلون حوالي 95 % من مجموع سكان الجزائر وكانوا ينقسمون إلى البدو وهم الرحل الذين يعتمدون في حياتهم على تربية الماشية والريفيون الذين يعيشون من منتوج الأرض، وهنا يقول ابن خلدون عن مهن البدو: **"... فمنهم من ينتحل الفلح من الغراسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الشاه والبقر والماعز والنحل والدود... ولأنه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والفدن"**[2]

ويقسم حمدان خوجة سكان البدو في الجزائر إلى طبقتين، حيث يقول:**" ... ينقسم البدو إلى طبقتين أو على الأصح إلى نوعين متميزين من السكان، فالذين يسكنون السهول هم العرب الحقيقيون أصلهم من الشرق وينحدرون من قبائل عربية مختلفة أما الذين يسكنون الجبال أو الأماكن الوعرة المنحدرة فهم البرابرة الحقيقيون أو القبائل الذين تختلف لغتهم عن لغة العرب ..."**[3]

كان التصنيف الاجتماعي لسكان أرياف الجزائر منظما، حيث كان السكان ينتمون إلى قبائل شتى تقسم بصفة عامة إلى فريقين أو أكثر، فريق يحتل الصدارة وتابع للبايلك في كل شيء وهم أهل المخزن، وفريق خاضع وهم فريق الرعية، ويمكن أن نضيف إلى

[1] خليفة حماش، **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2016، ص751.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، مج1، تح: أ. م. كاترميو، عن طبعة باريس سنة 1858، مكتبة لبنان 1992، ص ص220– 221.

[3] حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تح: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005، ص15.

هاذين المجموعتين بعض القبائل التي كانت تتبادل المصالح مع السلطة وتسمى قبائل الأحلاف بالإضافة إلى القبائل الممتنعة.[1]

ثالثا_ أهل الذمة: سميت هذه الفئة كذلك لتميزها عن مجموع سكان البلاد لأسباب دينية وحضارية وتضم:

1_ اليهود: وكانوا يشكلون العنصر الأهم من الدخلاء، وتعود أصولهم إلى اليهود المحليين الذين استقروا بالبلاد الجزائرية في الفترة التي سبقت الإسلام أو الذين اعتنقوا اليهودية من أهالي البلاد، بالإضافة إلى يهود الأندلس بعد سقوطها سنة 1492 وازداد عددهم بعد إصدار الملك فرديناند الكاثوليكي مرسوم في 31 مارس 1492 يقضي بطرد اليهود نهائيا من إسبانيا.[2]

2_ المسيحيون: وهي فئة تنقسم إلى المسيحيين الأحرار مثل القناصل وتجار الدول الأوروبية، والمسيحيين الأسرى وهم الذين جاؤوا من شواطئ البحر الأبيض أو من المناطق القريبة من البحر، كما كان فيهم من روسيا وألمانيا والجزر البريطانية والبلاد الإسكندنافية وغيرها، وكان معظمهم بحارة أسِروا وهم في البحر، أو أنهم قرويين أُسِروا أثناء حرب الجزائر مع بلدانهم، وكانوا يمثلون أحد الركائز الاقتصادية للإيالة[3] ويختلف عددهم على حسب الحروب البحرية التي كانت تشهر من طرف رؤساء البحرية وانتصاراتهم.[4]

---

[1] توفيق دحماني، **الضرائب في الجزائر (1792– 1865) دراسة مقارنة**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2007، ص ص126– 127.

[2] نجوى طوبال، **طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر(1700– 1830) من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص65.

[3] جون. ب. وولف، **الجزائر وأوروبا (1500 – 1830)**، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2015 ، ص ص208– 209.

[4] عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، **دخول الأتراك إلى الجزائر**، مكتبة جواد سماعي، الجزائر، 1972، ص88.

الفصل الأول: علاقة السلطة بسكان المدن

عرفت المدن الجزائرية اختلافا في التركيبة الاجتماعية، فإلى جانب سكانها الأصليين شهدت الجزائر كغيرها من المدن المغاربية توافد العديد من الأجناس إليها، ما أضفى عليها تنوعا سكانيا ملحوظا، خاصة بعد مجيء العثمانيين إليها واستحواذهم على زمام الحكم فيها، وقد لعبت هاته الفئات أدوارا مختلفة في المجتمع مست الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد كانت هذه الأدوار متباينة بين هاته الفئات.

1 _ علاقة الحكام بالعلماء:

لم تكن فئة العلماء ظاهرة وليدة العهد العثماني ولاهي خاصية تميزت بها الجزائر عن بقية الدول الإسلامية[1]، فقد كان العلماء على حد تعبير أبو القاسم سعد الله يمثلون الرأي العام في الجزائر أثناء الحقبة العثمانية، وكانوا يحظون باحترام وثقة الناس أكثر من ثقتهم بالحكام[2]، هذا ماجعل رجال السلطة يدركون مكانتهم ويسعون إلى التقرب منهم.

فكان أول اتصال بين العثمانيين والعلماء يرجع إلى اتصال "عروج " "بأحمد بن يوسف المليانى"[3]، عندما ذهب "عروج" إلى وهران رفقة رجل مراكشي فطلب هذا الرجل من" عروج" الذهاب والتبرك بالمليانى، وهناك أخبر الشيخ عروج عن غايته من القدوم إلى وهران وأنه مستعد لمساعدته فقال: **" إن أصابك هول في البحر فقل يا أحمد بن يوسف**

[1] رشيدة شدري معمري، **العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671 – 1830)**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر ، 2005، ص46.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي(1500– 1830)**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998 ص409.

[3] رشيدة شدري معمري، مرجع سابق، ص17.

فأغيثك"[1]

وتذكر بعض المصادر العربية أن خير الدين كان يلازم العلماء ويستشيرهم في أمور عديدة، وكان ينفذ أحكامهم ولا يخالفهم ولا يستفرد برأيه وقد كان هو الحاكم[2] فكانت العلاقة بين الطرفين قائمة على الاحترام المتبادل واعتراف كل طرف بسيادة الآخر في مجاله.

كان رجال الدين يقومون بتقديم النصائح لرجال الحكم وكانت هذه النصائح تغلف في قالب حتى لا يحس الحاكم أن العالم يتدخل في شؤونه[3]، وغالبا ما كانت هذه النصائح أو الحث على الجهاد الذي يمثل الرابط القوي الذي يجمع بين الطرفين، تقدم على شكل قصائد شعرية، فنجد من العلماء من حرض الحكام على قتل النصارى مثل العلامة " أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن" قاضي المالكية يحث" حسن باشا" على غزو وهران في قصيدته فقال:

نادتك وهران فلب نداها وانزل بها لا تقصد سواها [4]

كما عمل العلماء على نصح الحكام بتقريب أصحاب الحظوة والمكانة والسلطة الروحية منهم مثل" محمد بن علي أقوجيل " الذي قال :

شاور ذوي علم ودين ودع الغواة وكل ذي تزوير[5]

---

[1] الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19**، ج1 تح: يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص77.

[2] أحمد بحري، **الجزائر في عهد الدايات – دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية**، ج1، دار الكفاية، الجزائر 2013، ص ص105، 106.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، مرجع سابق، ص410.

[4] المزاري، مصدر سابق، ص73.

[5] المزاري، مصدر سابق، ص104.

اشتهر الحكام بتقريب العلماء منهم ومراعاتهم واحترامهم إما حبا في العلم والدين أو طمعا في تأييدهم[1]، وهذا ما يظهر جليا في الرسائل التي كانت بين الطرفين، حيث كان الحكام يرون في العلماء أنهم أصدقاء لهم، ولعل خير دليل على ذلك ما كتبه باشا الجزائر إلى الشيخ" الفكون" الذي ساعد الأتراك في الدخول إلى قسنطينة بعدما احتج على سكانها الذين كانوا يعارضون دخولهم[2]، وجاء في محتوى هذه الرسالة **"... بلغنا أنك سرت إلى ناس قسنطينة بالتدبير المفيد والرأي الصائب الرشيد، فكان ذلك حقنا لدمائهم ... فجزاك الله بأحسن الجزاء وضاعف لك الخير والثناء وما أنت إلا حبيبنا وصديقا"**[3]

أصبح الفقهاء يتمتعون بوضعية ممتازة ومكانة مرموقة نظرا لصلتهم بالحكام[4]، فقد استطاع العلماء الحصول على مجموعة من الوظائف لدى الحكام مثل الشيخ محمد بن الخروبي الذي تولى القضاء للباي"عثمان بن محمد الكبير، واشتغل ابن هطال التلمساني كاتبا خاصا له [5]، كما تولى محمد بن حسن المعروف بالكتاب المستغانمي لكونه كان كان كاتبا لنفس الباي[6]، وكان ابن ميمون قاضي المواريث زمن الداي إبراهيم (1745 – 1748) بالإضافة إلى أنه كان يشتغل شاعر بلاط غير رسمي.[7]

إلى جانب حصول العلماء على الوظائف، تمتعت هذه الفئة بعدة امتيازات كالإعفاء

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج1، مرجع سابق، ص412.

[2] صالح العنتري، **فريدة منيسة في حال وصول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها – تاريخ قسنطينة –، ويليه روضة النسرين**، تح: يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص65.

[3] مصدر نفسه، ص 46.

[4] ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثماني – الجزائر ، تونس ، طرابلس الغرب –**، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص152.

[5] المزاري، مصدر سابق، ص ص103– 105.

[6] المزاري، مصدر سابق، ص97.

[7] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص216.

من الضرائب وتقديس أضرحتهم والتبرك بها بعد موتهم، ولا يعاقبون من يفر إلى ضريح أي مرابط[1]، ولعل خير دليل على اهتمام بعض الحكام بالعلم والعلماء هو بناء المدارس والزوايا والأضرحة، فقد بنى خير الدين قبة للشيخ إبراهيم السلامي البحري بعد استشهاده في الجزائر إثر حصار قلعة البنيون 1530، كما أنشأ صالح باي مدرسة سيدي الأخضر وشيّد مسجد الكتاني.[2]

اشتهر بعض الحكام بتقريب العلماء واستشارتهم في الكثير من الأمور السياسية فقد ذكر عن عروج أنه استفتى العلماء حول محاربة سكان تنس الذين أعلنوا طاعتهم لابن أخ سلطان تلمسان المتعاون مع الإسبان، فكان جواب العلماء" **إن قتلهم حلال بل هو واجب**" [3]، كما نجد يوسف باشا(1647– 1650) الذي قرب إليه سعيد قدورة وعيسى وعيسى الثعالبي وقد ذكر عنه أنه عندما سافر إلى بايلك الشرق اجتمع مع مراد باي وكبار رجاله وقرب إليه العلماء ورجال الدين واستشارهم في الكثير من القضايا.[4]

إلى جانب ذلك عرف بعض العلماء بولائهم الكبير للحكام ، وهذا مايبرز في رسالة الشيخ محمد ساسي البوني إلى يوسف باشا"**... ها هو العبد الفقير ليس بناسي لكم وداً ولا بناكث لكم عهداً... هذا العبد الفقير إلى مولاه الغني**"[5]، وقد لعب العلماء دورا في حل المشاكل السياسية بين الحكام والرعية ففي عام 1567 اتفق سكان قسنطينة على

---

[1] رشيدة شدري معمري، مرجع سابق، ص105.

[2] أحمد بحري، **الجزائر في عهد الدايات**، ج1، مرجع سابق، ص105.

[3] مجهول، **مذكرات خير الدين بربروس**، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص83.

[4] أحمد مريوش، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، [د ت]، ص120.

[5] جمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500 – 1830)**، دار هومة، الجزائر، [د ت] ص ص105، 106.

تكوين وفد وإرساله إلى الباشا بالجزائر ليشرح أوضاع المدينة المتدهورة ، وقد تألف هذا الوفد من الشيخ عبد الكريم الفكون والمفتي عبد اللطيف المصباح.[1]

ساعد العلماء الحكام في تجنيد السكان لمحاربة النصارى، فقد لعب الثعالبي مع بداية دخول الأتراك دورا كبيرا في التحريض على الجهاد والوقوف ضد الأعداء المغيرين وقد كتب الثعالبي رسالة في ذلك وجهها للناس وكان لها أثر كبير على النساء والرجال [2] وكان للعلماء دورا بارزا في إخماد الثورات والتمردات التي عرفتها الإيالة، فقد كان ابن الفكون هو الواقف في قسنطينة عند مهاجمة ابن الأحرش لها[3]، ولجأ الداي شعبان إلى القاضي والمفتي الحنفيان ليقوموا بوعظ وإرجاع فرق الجنود التي كانت تحرص المدينة بعد تمردها.[4]

وهناك من العلماء من وافق الحكام في حملاتهم ضد بعض القبائل، فقد وافق أحمد ابن هطال التلمساني على حملة محمد بن عثمان الكبير التأديبية إلى الأغواط وعين ماضي سنة 1775 م، وقد كتب ابن ميمون قصيدة يهنئ فيها الحاج محمد خوجة ابن الداي عبدي باشا بعودته منتصرا إثر حملة عسكرية قام بها في الغرب الجزائري ضد بعض الثوار.[5]

كان للعلماء دور في جلب طاعة الرعية للحكام وهذا ما نجده في رسالة يوسف باشا إلى ساسي البوني" ... **والتعريف بما يجب عليهم من حقوق السلطان وأن طاعته من**

---

[1] العنتري، مصدر سابق، ص30.

[2] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**،ج1، مرجع سابق، ص ص203، 205.

[3] العنتري، مصدر سابق، ص70.

[4] محمد ابن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: محمد بن عبد الكريم ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص25.

[5] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**،ج1، مرجع سابق، ص213.

طاعة الرسول، وطاعة الرحمان، فإليكم معشر أهل العلم يتوجه إليكم هذا الفرض بالخصوص"[1]، إلى جانب هذا كان العلماء يتوسطون في حل النزاعات بين الجزائر وجيرانها، إذ كان ينتقل وفد من علماء الجزائر إلى تونس والمغرب واسطنبول، فقد كان أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري سفيرا بين سلطان آل عثمان وبين الأمير أبي عبد الله الشريف سنة 1552 من أجل المهادنة والصلح بين الطرفين[2] كما عيّن الباي محمد عثمان الكبير أحمد ابن هطال التلمساني رسولا إلى فاس صحبة أحد القضاة يحمل هدية إلى السلطان محمد بن عبد الله، وكلّف بالذهاب إلى جبل طارق لشراء الأسلحة والذخائر من التجار[3]، ولعل هذه العلاقة التي كانت قائمة بين العلماء والحكام جعلت بعض العلماء يتغنون بحبهم لبعض الحكام مثل العالم ساسي البوني الذي كتب لمحمد بكداش:

وبعد فإن لي حبا وجلا سبا قلبي وهيج لي غرامي [4]

تطورت هذه العلاقة حتى وصلت إلى حد المصاهرة ، حيث تزوج حسن باشا من عائلة الملياني، ويذكر أنه تزوج من إحدى حفيداته، كما وجدت مصاهرة بين محمد عثمان الملقب بالمقلش (1805 –1807)، وكبير الحشم الشيخ قدور بن الصحراوي حيث قام هذا الباي بخطبة ابنة الشيخ لابنه فوافق على ذلك[5]، وقد تصاهر صالح باي مع عائلة ابن جلول وهي أكبر عائلة توارثت القضاء الحنفي[6]، وفي مقابل ذلك عانى بعض

[1] جمال قنان، مرجع سابق، ص107.
[2] ابن ميمون، مصدر سابق، ص70.
[3] المزاري، مصدر سابق، ص105.
[4] ابن ميمون، مصدر سابق، ص133.
[5] المزاري، مصدر سابق، ص103.
[6] رشيدة شدري معمري، مرجع سابق، ص122.

العلماء من سوء علاقتهم مع الحكام خاصة في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر أين حاول الحكام إخضاع العلماء لنفوذهم، وهو العامل الذي أدى إلى حدوث نوع من القطيعة بين الزوايا وأتباعها وبين الحكام[1]، فنجد صالح باي في أواخر أيام حكمه تغيرت سيرته وسلوكه وأصبح يظلم ناس الزاوية.[2]

لا بد أن تكون هناك أسباب تبرر القطيعة التي كانت بين الحكام والعلماء، ولعل من أهم هذه الأسباب هي الضريبة التي أثقلت كاهل الرعية خاصة في القرن 18 م حيث يقول الزهار:" ... **هكذا وضع الأوائل الجباية على المنهج الشرعي والأواخر صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهب أموال المسلمين، ووقع هذا حتى صار الناس فجارا والأمراء ظالمين**"[3]، بالإضافة إلى علاقة الحكام بالرعية فقد احتكر الأتراك المناصب والوظائف السامية ورفضوا فكرة المساواة بالسكان والانسحاب النهائي للإسبان من وهران 1792 م، وبالتالي نهاية عامل التحالف الذي كان يجمع بين الطرفين، وكان من نتائج هذه القطيعة نشوب ثورات بدوافع دينية لأن من قادها هم زعماء الطرق الدينية، الأمر الذي ساعدها على تجنيد السكان ضد السلطة.[4]

من نماذج هذه الثورات نذكر الثورة الدرقاوية نسبة إلى عبد القادر ابن الشريف حيث بدأت هذه الثورة عام 1805 م بعدما عاد عبد القادر ابن الشريف من المغرب الأقصى، حيث قصد في بداية الأمر ميناء بقرية فرطاسة ونشب اصطدام بينه وبين

---

[1] رشيدة شدري معمري، مرجع سابق، ص164 .

[2] العنتري، مصدر سابق، ص64.

[3] أحمد الشريف الزهار، **مذكرات أحمد الشريف الزهار**، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974، ص35.

[4] إبراهيم عبو، **الثورات المحلية في الجزائر خلال العهد العثماني وموقف العلماء منها**، متون العلوم الاجتماعية، العدد3 ديسمبر 2016، ص204.

الأتراك، ولكنه في الأخير لم يستطع الصمود لضعف عدته وعتاده، ونتيجة لذلك تخلى عليه أتباعه ومنذ ذلك الوقت اختفى عن الأنظار.[1]

الثورة التيجانية نسبة إلى أحمد المختار التيجاني، نشبت هذه الثورة عام 1827 م بسبب حصار العثمانيين لعين ماضي، وقد كان أحمد التيجاني يحمل كرها وحقدا للعثمانيين ونشب الصراع بين الطرفين وانتهى بالقضاء على قوات التيجاني بسبب فرار أتباعه.[2]

بسبب توتر العلاقة بين الطرفين أصبح الأتراك يشعرون أن العلماء يشكلون خطرا عليهم خاصة منذ أواخر القرن 17، حيث عملت السلطة على إبعادهم متخذين في هذا عدة إجراءات حتى تحد من نفوذهم، ففي سنة 1637 م استدعى مراد باي إلى معسكره محمد الصخري بوعكاز مع كبار عرشه وحاكمهم بواسطة مجلس الديوان فحكم عليهم بالإعدام[3]، ووضع الشيخ محي الدين بن مصطفى تحت الإقامة الجبرية بوهران لخمسة سنوات (1821 – 1825 م) لأنه عرف بمقاومته لسياسة القسوة والظلم التي يتبعها بعض الحكام[4]، ونفي القاضي المالكي محمد بن مالك لأنه صهر لعلي خوجة الذي ثار على مصطفى باشا.[5]

---

[1] صونيا مزوزي، **السلطة والمجتمع في الجزائر أواخر عهد الدايات(1792– 1830)**، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015، ص88.

[2] شيخ الأعرج، **انتشار الطريقة التيجانية في بايلك الغرب أواخر القرن 18 وبداية القرن 19 ونشاطاتها المختلفة**، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد29، جامعة وهران1، الجزائر، جوان 2016، ص622.

[3] العنتري، مصدر سابق، ص37.

[4] المزاري، مصدر سابق، ص101.

[5] أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، مرجع سابق، ص419.

عرف الباي حسن بن موسى[1] في نهاية حكمه بالظلم والفساد وتعديه على العلماء والأولياء وسفك الدماء، فقتل جملة من العلماء من بينهم الحاج محمد البوشيخي الذي علقه بالخشبة، وقتل ابن عبد الله بن حواء التجيني، وسار بجيش عظيم إلى زاوية الشيخ ابن القندوز وأخرجه من زاويته وفي طريقه قتله خنقا[2]، لذلك وجد من العلماء من حذروا من العمل مع الملوك وأصحاب السلطان مثل العالم محمد بن أحمد التلمساني بن الوقاد حيث قال:

كلّ التراب ولا تعمل لهم عملا فالشر أجمعه في ذلك العمل[3]

مما دفع بالكثير من العلماء إلى الهجرة خارج الإيالة.[4]

2 _ العلاقة بين الحكام والكراغلة:

كانت فئة الكراغلة فئة ميسورة الحال تمارس التجارة والمهن وتشتغل بملكيات زراعية كما قام العنصر الكرغلي بالجزائر بأدوار مختلفة على المستوى السياسي والعسكري، وقد وصلوا إلى شغل مناصب سامية في الدولة خاصة في بداية العهد العثماني.

كانت فترة البايلربايات تفتح أبوابها لكل العناصر والشرط الوحيد هو القدرة والخبرة[5]

---

[1] المعروف بباهج حسن، تولى الحكم في منتصف ذي الحجة 1232 هـ(ينظر: محمد بن يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح: المهدي بوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 309)

[2] نفسه، ص ص320، 321.

[3] أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766– 1791)**، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر 2009، ص85.

[4] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، مرجع سابق، ص419.

[5] عائشة غطاس، **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 2007، ص50.

وقد عرفت هذه الفترة تنوعا في الحكم، فقد تداول عليه الأتراك والعرب والأعلاج والكراغلة، ولعل خير دليل على تولي الكراغلة منصب الحاكم هو تولي حسن بن خير الدين[1] زمام الحكم في هذه الفترة ولثلاث مرات.

عرفت فترة الباشوات استفراد الأتراك بالحكم، وسمح للكراغلة في هذه الفترة بتولي مناصب سامية في الجيش والإدارة دون الوصول إلى الحكم مما أدى إلى الصراع بين الأبناء والآباء لم تشفع فيه حتى صلة الدم، لأن الكراغلة كانوا يشعرون بظلم الأتراك الذين كانوا يخشون من تزايد عددهم ومن انتزاع السلطة منهم بالتعاون مع أخوالهم الجزائريين، ولذلك كان الكراغلة يتحيلون الفرص للثورة على الأتراك وانتزاع حقوقهم في المساواة بآبائهم[2]، وقد برز هذا جلّي سنة 1596 حيث قام الكراغلة بأول ثورة لهم بتحريض من خضر باشا [3] الذي كان في صراع مع الجند الانكشارية واتخذ الكراغلة موقف العداء ضد الأتراك، وقد أسفرت هذه الثورة التي سالت فيها دماء كثيرة في مدينة الجزائر عن تخفيف الانكشارية لغلوائهم.[4]

ومنذ ذلك الحين بدأ صراع خفي وطويل بين الكراغلة والأتراك، فقد كان الأتراك ينظرون إلى الكراغلة نظرة احتقار وأنهم أبناء العبيد، ولكي يحافظ الأتراك على السلطة عملوا على عزل الكراغلة من مناصبهم وكانوا يحولون دون وصولهم إلى المناصب

[1] كان من أم جزائرية، تولى الحكم ثلاث مرات(ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، مرجع سابق ص144.)

[2] عمار بن خروف، **العلاقات بين الجزائر والمغرب (1517 – 1659)**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة دمشق سوريا، 1983، ص59.

[3] عين في 1594 أمير أمراء الجزائر للمرة الثانية ولم يكن محبوبا من قبل الانكشارية(ينظر: عزيز سامح آلتر، **الأتراك العثمانيين في إفريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1989 ص308.)

[4] أمين محرز، **الجزائر في عهد الأغوات(1659– 1671)**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص145.

السامية. يذكر حمدان خوجة أن تخوف الأتراك من الكراغلة وصل إلى منعهم من شغل منصب مترجم البلاط أو أمين اللغات الأجنبية وكتاب الدولة وحتى منصب مراقب المؤسسات الخيرية التابعة لأملاك مكة والمدينة، ويختار صاحب هذا المنصب من العرب ويبعد الكراغلة منه.[1]

كان العداء والشقاق واضحا بين الأتراك والكراغلة، ومما زاد من تخوف الأتراك هو وصول الكراغلة إلى السلطة واستحواذهم عليها، ونجد أن الأتراك كانوا يخشون فقط الكراغلة الذين لهم صلة دم مع الجزائريين، ويستغلون كل فرصة لاستبعادهم وتقويض نفوذهم، ويقول أبو القاسم سعد الله: **" الغريب أن العثمانيين كانوا يرفعون أبناءهم في الجزائر إذا كانوا من أسيرات مسيحيات ويخفضونهم إذا كانوا من أمهات مسلمات"**[2]

بلغ الصراع بين الآباء والأبناء ذروته عام 1629 عندما نظم الكراغلة مؤامرة ضد الأتراك واجتمعوا في حصن الإمبراطور، لكن سرعان ما اكتشف الأتراك هذه المناورة وضعوا خطة لإحباطها وقد استعانوا في ذلك ببني ميزاب للقضاء على هذه المؤامرة حيث ألبسوهم ملابس نسائية وتدثروا بالملاحف ليبدوا كأنهم نسوة هاربين من ظلم وجور الأتراك، وقام المتنكرين بإخفاء أسلحتهم وذخيرتهم لتظهر في متاع وهاجموا المتمردين بمساعدة فوج من الأتراك كان يتبعهم عن كثب[3] فأخضعوهم وأحبطوا مشاريعهم.

كعقاب لهم منع على الكراغلة تقلد المناصب السامية، كما تم عزل كل من كان يشتغل في وظيفة حساسة، وهكذا كان كل كرغلي يصل إلى المرتبة السابعة يتم عزله

[1] حمدان خوجة، مصدر سابق، ص 117.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، مرجع سابق، ص155.

[3] حسين بن رجب شاوش ابن المفتي، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، تح: فارس كعوان، ط1 بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص49.

وبهذه الكيفية لم يكن للكراغلة فرصة الاشتغال في البلاط [1] ، وقد كانت فرصة استغلها الأتراك واتخذوها ذريعة لإبعاد الكراغلة نهائيا عن الحكم والاستفراد به وتشتيت شملهم في مناطق مختلفة من البلاد.

بقي الصراع مستمرا بين الأتراك والكراغلة خاصة بعد عودة الكراغلة المنفيين الذين رجعوا من تونس إلى زواوة عام 1632 م، وباشروا في إنشاء تحالفات ضد الأتراك ففي سنة 1633 م تحالف الكراغلة مع القبائل الذين كانوا يحملون حقد للأتراك وشكلوا قبيلة الزواتنة التي تشير إلى منطقة وادي الزيتون الواقع في جبل فليسة، وقد عاود الكراغلة محاولة الاستيلاء على مدينة الجزائر لأن هدفهم كان الوصول إلى أعلى مرتبة في المجتمع[2]، وقد وضع الكراغلة خطة لتحقيق ذلك الهدف حيث تسللوا إلى المدينة في زيّ الفلاحين وبجماعات صغيرة وأخفوا السلاح تحت ملابسهم، وسرعان ما دخلوا إلى المدينة توزعوا في أحيائها وبدأوا بمهاجمة العصاة ودافع الكراغلة على أنفسهم واشتدت المواجهة بين الطرفين، ولم يساند السكان الكراغلة وانتهى الأمر بانفجار مخزن البارود الموجود بالقصبة، وانتهت بهذه الواقعة ثورة الكراغلة وكادت أن تعصف بحكم العثمانيين في الجزائر، ولم يبقى من الكراغلة إلا القليل حيث تم إلقاء القبض عليهم وفرّ قسم منهم إلى القبليين الذين رحبوا بهم.[3]

في سنة 1639 تضمن نص معاهدة عقدها الديوان مع القبائل بنداً خاص مُنح الكراغلة بموجبه عفوا عاما، لكن الصراع الذي كان بين الكراغلة والأتراك كسر شوكة الكراغلة، إذ حظر عليهم الديوان الانضمام إلى صفوف الانكشارية وتولي المناصب

[1] حمدان خوجة، مصدر سابق، ص117.

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، مرجع سابق، ص155.

[3] سامح آلتر، مرجع سابق، ص ص356، 357.

السامية في الإدارة ولم يفسح لهم المجال إلا في المجال البحري.[1]

سُمح للكراغلة بالتسجيل في الانكشارية بعد الوباء الكبير الذي شهدته مدينة الجزائر ما بين(1648– 1650)، وقد أصاب حتى ثكنات الجيش وتسبب في هلاك عدد كبير من جنود الانكشارية، كما استمر لجوء العثمانيين لخدمات الكراغلة عند الغزوات إذ منح لهم شعبان آغا (1661– 1665) حق الانتساب للأوجان، ولو أن هذا الانتساب لم يصل إلى حد المشاركة الفعالة في الجيش والإدارة والصعود إلى السلطة [2]، كما ساعد الكراغلة إلى جانب فرق الزواوة الحكام العثمانيين في القضاء على عصيان الانكشاريين في عهد علي خوجة سنة 1817.[3]

كل هذا لم يضع حداً للفجوة التي كانت بين الكراغلة والأتراك، حيث عاد الكراغلة إلى الثورة من جديد ضد أبائهم، ففي سنة 1747 قام الكراغلة بالثورة في وهران بسبب استمرار ظلم الأتراك، ولكن السبب لهذه الثورة هو استرجاع تلمسان وتأسيس مملكة خاصة بهم فيها، ودعوا إخوانهم في الإيالة إلى حمل السلاح ضد الأتراك وكانوا عديدين في تلمسان بحكم قدم الحامية التركية هناك [4]، فمترد الكراغلة وطردوا قائد تلمسان يوسف بك وشكلوا قيادة خاصة بهم، فوجه الداي إليهم قوة عسكرية سحقتهم وانتصرت عليهم وأنزل بالمتمردين عقوبات صارمة حيث أمر بقتل الكراغلة يوم الصيد، كما صمم على إبادة الكراغلة الموجودين بالعاصمة ولكنه مات فجأة قبل أن ينفذ خطته ومحتمل أن يكون

[1] أمين محرز، مرجع سابق، ص146.

[2] حنيفي هلايلي، **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني**، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007، ص81.

[3] ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني**، ط3، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012 ص41.

[4] صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي (1514– 1830)**، دار هومة، 2012، ص161.

قد مات مسموما سنة 1784.[1]

بالرغم من العلاقة المتوترة التي كانت بين الكراغلة والأتراك، إلا أن عهد الأغوات عرف تقلد بعض الكراغلة لمناصب سامية في الدولة والالتحاق بالأوجاق وتقلد منصب الباي، فنجد محمد الذباح 1708 الذي تولى منصب باي التيطري والكرغلي مصطفى العمر باي الغرب[2]، وفي مطلع القرن 19 عرفت الجزائر سلسلة من الثورات والتمردات ضد الحكام كان هدفها الإطاحة بسلطة الأتراك، وكانت الحجة في ذلك هي سياستهم الظالمة التي انتهجوها ضد السكان، ومن حلقة هذه الثورة نجد عودة الكراغلة إلى العصيان والتمرد ضد أبائهم.

في الربع الأول من القرن 19 وبالتحديد سنة 1813 أعلن الكراغلة ثورتهم ضد الحكام، لكن هذه الثورة لم تكن جماعية بل قام بها فرد كرغلي أراد التخلص من حكم الأتراك، فقام محمد بن عثمان الملقب بأبي كابوس والذي كان بایاً على الغرب(1807– 1813) بثورة كان يهدف من خلالها إلى الاستفراد ببايلك الغرب[3]، ولما خرج الباي من وهران متوجها إلى تونس نزل بوادي يلل، وهناك حدثته نفسه برفض الترك وخروجه عن طاعتهم فقام بقتل كل من يقربه من الأتراك، وأمر بني عامر بقتل محلة الترك التي عندهم ولم ينجو منهم إلا عدد قليل فروا إلى الجزائر، ولتعزيز ثورته انتمى إلى الطريقة الدرقاوية سراً وتحالف مع السلطان المغربي مولاي سليمان بن عبد الله(1792– 1822) الذي أيده فشكل هذا الباي الكرغلي قوة لا يستهان بها، إلا أن الداي علي باشا تمكن

[1] سامح آلتر، مرجع سابق، ص509.

[2] ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني**، مرجع سابق، ص42.

[3] إيمان غربي ومديحة طهير، **الكراغلة ودورهم في الجزائر خلال العهد العثماني(1518– 1830)**، مذكرة ماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016، ص67.

من دحرها فكانت نهاية الباي مأساوية[1] حيث تم إلقاء القبض عليه ونُكّل به شرّ التنكيل فسلخ رأسه وهو حي وملأه بعد السلخ بالقطن وبعثه إلى الجزائر فعلقوه على عمود طويل وقتل أولاده وهم صغار كما تم قتل بعض خدمه[2]، وبذلك تم القضاء على حلم الكراغلة في تأسيس مملكة يحكمها الكراغلة، ومنذ تلك الفترة لم يسمح للكراغلة بتولي منصب الباي إلا في سنة 1826 حيث تولى أحمد باي (1826 – 1837) منصب باي قسنطينة.

نتيجة هذه الصراعات بين الأبناء والآباء كان الأتراك حذرين من الكراغلة لدرجة أنهم لو أسدى لهم أي كرغلي النصائح لنظروا إليها وكأنها حبائل منصوبة لاقتناص حسن نيتهم، وإذا علموا أن هناك اجتماعا يعقده الكراغلة في مكان ما فإنهم كانوا يرسلون إليهم الجواسيس وكانوا يبذلون جهودهم في منع وقوع أي تفاهم بين الكراغلة والأعيان[3]، وما يؤكد تهميش الأتراك لفئة الكراغلة هو عدم تقييد أسماء الكراغلة الذين تم اللجوء إلى خدماتهم ضمن فرق الانكشارية لدى الإدارة الحاكمة، خاصة في الفترة الأخيرة من العهد العثماني والتي شهدت تراجع في عدد المجندين في نفس السجلات المخصصة للأتراك.[4]

بالرغم من صلة الدم التي كانت بين الكراغلة والأتراك إلا أن الكراغلة كانوا يتمتعون بامتيازات لا قيمة لها، ولم تربطهم أي علاقة بالأتراك وقد رفضهم الجيش التركي رفضا قاطعا واعتبروهم من جنس السكان الجزائريين[5]، الذين كانوا ينظرون إليهم على أنهم أقل منهم مكانة وقد استمر حقد الأتراك على أفلاذ أكبادهم، لكن الكراغلة لم يقفوا متفرجين على هذا الوضع فقد فكر الكراغلة في استعطاف أبائهم ونيل رضاهم، حيث قاموا

[1] المزاري، مصدر سابق، ص336.

[2] نفسه، ص338.

[3] حمدان خوجة، مصدر سابق، ص119.

[4] حنيفي هلايلي، **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني**، مرجع سابق، ص83.

[5] وليام شالر، **قنصل أمريكا في الجزائر**، تح: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص56.

بإحضار جنود آخرين وضمهم إلى الجيش التركي على نفقتهم، وسجلوا أبناءهم كمتطوعين في الميليشيات[1] مع العلم أن الكراغلة كانوا يتقاضون أجورهم من الدولة حتى بعد إبعادهم.

دخل الكراغلة حلبة الصراع حيث اعتبرت هذه الطائفة إحدى الأدوات التي استخدمتها السلطة في استغلال الرعية، حيث تحولت نظرة الكراغلة نحو الأهالي لتصبح نظرة احتقار في أواخر العهد العثماني، ومن هنا اعترف أتراك الجزائر بحقوق الكراغلة وأشركوهم في تسيير شؤون الإيالة، وكان لسياسة الترضية التي انتهجها الأتراك أثر سيء في العلاقة بين الكراغلة وسكان الجزائر، إذ أصبح الجزائري ينظر إلى الكراغلة نظرة لا تختلف عن نظرته لسادة الأتراك الحاكمين حيث أصبح الكراغلة يشعرون بالاستعلاء[2] وربما كان موقف الأمير عبد القادر من كراغلة تلمسان وزواتنة القبائل ذوي الأصل الكرغلي تعبيرا صادقا عن تلك العاطفة التي يحملها الأهالي نحو هذه الجماعة المتعاملة مع الأتراك[3]، ولعل خير دليل على كره الأمير عبد القادر لفئة الكراغلة رفضه القاطع في التعاون مع أحمد باي ضد الاستعمار الفرنسي.

3_ علاقة الحكام باليهود:

كانت الجزائر عامرة باليهود حيث كانوا يشكلون إحدى الطوائف المهمة، وقد كانوا يتمتعون بحرية المعتقد مقابل أداء الجزية وفق شروط، ومن أهمها مخالفة المسلمين في لباسهم حيث كان اليهود مجبرين على لبس ثياب بيضاء أو سوداء[4] ، وقد كان الشرط

[1] حمدان خوجة، مصدر سابق، ص117.

[2] حنيفي هلايلي، **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني**، مرجع سابق، ص84.

[3] ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني**، مرجع سابق، ص46.

[4] وليام شالر، مصدر سابق، ص90.

الذي وضعه خير الدين بربروس على يهود أوروبا بأن يمتازوا عن السكان المسلمين بلبس العمائم السود[1]، كما لا يسمح لليهود بركوب الخيل أو حمل السلاح بما في ذلك العصا، ولا يسمح لهم بمقاومة أي نوع من العنف يمارسه المسلم عليهم ، ويوم الأربعاء والسبت هما اليومان الوحيدان المسموح فيهما لليهود بالخروج من أحد أبواب المدينة بدون ترخيص.[2]

هذه الإجراءات كلها وقائية اتخذتها السلطة لأن اليهود عرفوا بتواطئهم مع الإسبان مما كان سببا في سقوط وهران، أما عن حمل السلاح فتشير بعض الدراسات أنها لم تطبق في كل البلاد فيهود بوسعادة كانوا يحملون السلاح[3]، وقد أوكلت مهمة العناية بشؤونهم إلى أحد أبناء الطائفة يعينه الداي ويعرف بمقدم اليهود وهو أمين الطائفة، حيث يتعامل باسمهم مع موظفي البايلك، كما يقوم بتعيين مساعديه من القضاة و الموظفين لأنهم كانوا مستقلين ذاتيا في إدارة شؤونهم في القضاء والمال والتعليم[4]، وكان هذا المنصب محل تنافس بين اليهود وغالبا ماكان يتم الحصول عليه بالرشوة والتآمر.

كان انتشار اليهود النسبي في أحياء المدينة المختلفة والمحيطة بكل جانب من سوق الكبير يدل على نفوذهم، وفي نفس الوقت يدل على نشاطهم[5]، فقد كان اليهود يحترفون العديد من الأنشطة والصنائع، حيث كانوا يشتغلون ببعض الصنائع الدقيقة الثمينة

---

[1] **عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر – نشأتها وتطورها قبل 1830–**، ط1، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972 ص239.

[2] وليام شالر، مصدر سابق، ص90.

[3] سعاد عمالي وآخرون، **صورة المجتمع الجزائري من خلال بعض الرحالة المغاربة في العهد العثماني**، مذكرة ماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014، ص60.

[4] هابنسترايت، مصدر سابق، ص33.

[5] أندريه رايمون، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، تر: لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع القاهرة، مصر، 1991، ص85.

كالخياطة والصياغة واختيار جودة الذهب والفضة، بالإضافة إلى التجارة في الصرافة والدخان والعطارة واختبار العملة الرسمية.[1]

كان اليهود أدنى الطوائف الحرة في نظر المجتمع الجزائري، فقد كان ينظر إليهم بشيء من التمرس اللاطبيعي كأن يكون لهم مدخل إلى السحر الأسود ومعرفة فوق العادة بقضايا العملة[2]، وقد خصص الحكام لليهود أماكن لبناء منازلهم تعرف بالحارة، فقد ذكر العنتري أن صالح باي[3] خصص لليهود منطقة ليبنوا منازلهم ودكاكينهم[4] ولم يقف اليهود متفرجين على هذا الوضع الذي كانوا يعيشونه فقد عملوا على التقرب من الحكام وذلك بتقديم ترضيات لهم.

استطاع اليهود أن يتحصلوا على ثروات ضخمة نتيجة ممارسة السمسرة والربا والوساطة في كل العمليات التجارية ، حتى أصبح العربي في مدينة الجزائر لا يستطيع أن يبيع دجاجتين بدون وساطة مأجورة من أحد اليهود [5] ، والنفوذ الاقتصادي الذي وصلت إليه هذه الفئة جعلها فئة مهمة لدى الحكام ، حيث أصبحوا لا يستطيعون الاستغناء عن خدمة اليهود ويذكر حمدان خوجة عنهم : **" وضع الأتراك ثقتهم في اليهود لأنهم لا يخشون من الاستيلاء على الحكم . "**[6] ، وقد بلغت هذه الفئة درجة من من الجاه لا سيما في أواخر القرن 18 وبداية القرن 19 ، حيث أصبح اليهود في المرتبة الثانية من حيث الثراء بعد الأتراك ، ومن العوامل التي ساعدت اليهود لبلوغ هذا النفوذ

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج1، مرجع سابق، ص152.

[2] وليام سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تح: عبد القادر زيادي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص100.

[3] ولد بأزمير بتركيا عام 1739، تولى منصب بايلك قسنطينة(1771– 1792). (ينظر: صالح العنتري، مصدر سابق ص62.)

[4] مصدر نفسه، ص65.

[5] ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر**، مرجع سابق، ص44.

[6] حمدان خوجة، مصدر سابق، ص120.

تجارتهم الخارجية مع الدول المسيحية، مما جعلهم الفئة الأكثر معرفة بالشؤون الخارجية وجعل السلطة تستعين بهم كوسطاء بين إيالة الجزائر والدول الأوروبية.[1]

تمكن اليهود من السيطرة على النشاط الاقتصادي للإيالة خاصة التجارة في المدن المطّلة على الحوض المتوسط، وقد ساعدتهم في ذلك اعتماد الدولة على أعمالهم التجارية خاصة بعد استحالة التجارة بين الجزائر والدول الأوروبية خلال القرن 18، بعدما منعت الدول الأوروبية التجار الجزائريين من الاقتراب من موانئها مستعملة أسلوب التعذيب والقتل والحرق.[2]

مارس اليهود في الجزائر نشاطا تجاريا متنوعا فمنهم من مارس مهن مختلفة ومنهم من سيطر على التجارة بشكل شبه كامل، مستغلين في ذلك علاقاتهم الوطيدة مع حكام الإيالة، وأصبح اليهود بذلك أشبه بالبنك المتنقل فهو يعرض خدماته وإن اضطرته الظروف لأن يذهب إلى تخوم الصحراء يبادل بدوها بما تحمله بغاله الثلاث من حبوب مقابل ريش النعام والجلود وقليل من مسحوق التبر[3]، وكان ينظر لليهود على أنهم أداة لايمكن الاستغناء عنها لعقد الصفقات التجارية بين الإيالة والدول الأوروبية.

تمكن اليهود من الدخول إلى خزينة الدولة حيث كان منهم التراجمة بحكم معرفتهم للغات الأجنبية، فمثلا كان لأحمد باي ترجمان يهودي يدعى هارون، وقد استعان بهم الحكام لدفع أجور الجنود[4]، وبهذه الوسائل الهامة كانوا يطلعون على أسرار الدول ويصلون أيضا لتغيير بعض القرارات الحكومية ، وكان لهم أصدقاء من أهل السلطة في

[1] سامح آلتر، مرجع سابق، ص409.

[2] حنيفي هلايلي، **العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة (1815 – 1830)**، ط1، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2007، ص38.

[3] ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر**، مرجع سابق، ص44.

[4] فندلين شلوصر، **قسنطينة أيام أحمد باي (1830 – 1837)**، تر: أبو العيد دودو، الجزائر، 2007، ص30.

أعلى المستويات، وقد ذكرت بعض الروايات شفاعة بوشناق لمصطفى الوزناجي وصيانته من حد الموت سنة 1792 بعدما التمس له العفو، فأصبح هذا الباي يدين بالولاء لبوشناق ففتح جميع الأبواب للشركة اليهودية التي أصبحت تحتكر تجارة الحبوب والجلود والأصواف والشموع.[1]

تدعم نفوذ اليهود ومركزهم السياسي لدى الحكام الأتراك بفضل الشبكة الإستخبارية التي أنشأها اليهود في الجزائر إبان الفترة العثمانية، فأضحى يطلق عليهم سادة الجزائر وملوكها، وتشير بعض الدراسات أن الداي حسن باشا(1791– 1798) حينما تولى الحكم عين إلى جانبه بوشناق مستشارا يحظى بكل سطوة وسلطان[2]، مما جعل الإدارة الفعلية للبلاد أواخر العهد العثماني بيد اليهود الذين بيدهم الاحتكارات التجارية وكان يرجع إليهم القناصلة الأجانب في أمور بلادهم، ويتوسطون بهم لقضاء شؤونهم لدى الدايات[3]، وقد جاء في رسالة كتبها قنصل فرنسا في تونس مايلي:" **إذا أرادت حكومة المديرية أن تكظم غيظها وتعقد سلاما مع الجزائر فهي لا تحتاج إلا لتدخل بكري ... فإن هؤلاء اليهود لهم نفوذ قوي ... بفضل ثقة الداي فيهم هو ووزراءه**"[4]

لعب اليهود دورا في إبرام الاتفاقيات وعقد المعاهدات بين الجزائر والدول الأوروبية حيث يذكر كاثكارث بأن اليهود أدوا دورا خطيرا في المفاوضات الجزائرية الأمريكية ولاسيما بكري الذي حضر جميع المقابلات التي أجراها القنصل الأمريكي مع الداي حيث كلف بكري بحمل رسالة الداي.[5]

---

[1] حنيفي هلايلي، **العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة**، مرجع سابق، ص54.

[2] مرجع نفسه، ص55.

[3] عبد القادر حليمي، مرجع سابق، ص259.

[4] حنيفي هلايلي، **العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة**، مرجع سابق، ص55.

[5] لاندر جيمس كاثكارث، **مذكرات أسير الداي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب**، تر: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص181.

ازداد نفوذ اليهود بالجزائر فقد كان بوشناق يتفاوض باسم الجزائر مع ممثلي الدول الأوروبية دون علم الداي ، فكان يسالم من يشاء ويعلن الحرب على من يشاء[1]، وكان النفوذ والسلطة التي وصل إليها اليهود وسيطرتهم على الجانب الاقتصادي والتدخل في الأمور السياسية للدولة سبب في حدوث شرخ بينهم وبين الأهالي، وأدى في بعض الأحيان إلى الصدام بين الطرفين، وقد ألفت قصائد شعبية حول سيطرة اليهود على البلاد منها القصيدة لبلقاسم الرحموني سنة 1802:

واش نظروا في ذي الدنيا عادت عميا نشوف شيء غير متهمش

اليهود جان ليهم محبا عادوا عليا باللباس وقصور تدهش

والمسلم في فم الحيا يعطي الجازيا والكفر يقوي ويعرش[2]

وما يدل على احتقار وكره السكان لليهود هو ما ذكره الزهار إثر قتل كبير اليهود من طرف جندي اسمه يحي، الأمر الذي أفرح المسلمين فقاموا بنهب أموال اليهود وتشتيت جمعهم وتشريدهم مما أدى إلى هجرتهم إلى تونس، وقد أفضى هذا العداء إلى قتل مصطفى باشا الذي كان محبا لليهود[3]، لكن هذه الثورات والحوادث لم تقلص من نفوذ اليهود في السيطرة على دواليب الحكم في الجزائر والذي انتهى بمسألة الديون ونشوب الحرب بين الجزائر وفرنسا، ولقد أظهر اليهود ميلا واضحا للفرنسيين فقد ذكر أحد الدارسين قائلا: **" أظهرت الطائفة اليهودية في الجزائر ميلا واضحا للفرنسيين كما أظهر هؤلاء ميلا أوضح... ويذكر الفرنسيين أن اليهود أظهروا التعاون معهم أولا وكانوا على استعداد لبيع الجيش الفرنسي في سبيل مصالحهم وأصبحوا مرابين ومورطين غير**

[1] حنيفي هلايلي، **العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة**، مرجع سابق، ص54.

[2] ذهبية بوشيبة، **العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني**، الحوار المتوسطي، مج3، العدد1، مارس 2012 ص123.

[3] شريف الزهار، مصدر سابق، ص ص87– 88.

أوفياء بالعهود" [1] ، وذكر أحمد توفيق المدني بأن اليهود كانوا يعتبرون أنفسهم جالية مستقلة فلا يشاركون في الدفاع عن البلاد ولا يراعون مصلحة الوطن في معاملاتهم التجارية والاقتصادية.[2]

4_ علاقة السلطة بالمسيحيين:

كان المسيحيون يتواجدون بكثرة في الجزائر خاصة خلال القرن 17 حيث أصبحوا يمثلون إحدى العناصر المكونة للمجتمع الجزائري، وهم عبارة عن خليط من مختلف الأمم الأوروبية انقسموا إلى مجموعتين.

4_ 1_المسيحيون الأحرار:

هم التجار الأجانب ورجال البعثات الدينية التبشيرية والقناصل ومبعوثوا الدول وممثلوا الشركات والوكالات الأجنبية، وقد كانوا يعيشون بمعزل عن السكان ولا يخضعون للأحكام القضائية المعمول بها في البلاد، وكان هؤلاء يتعرضون في بعض الأحيان إلى غضب الحكام ويتم استبعادهم عند توتر العلاقات مع دولهم.[3]

كان حكام الجزائر يقومون بدعوة القناصل وممثلي الدول الأجنبية إلى قصر الحكومة عند الاحتفال بالأعياد والمناسبات الدينية، ويقدمون تحياتهم ويثنون على الحاكم ويقدمون له الهدايا الثمينة التي تليق بمكانته، حيث يقول شالر: **" ولكي يثبت القناصل تبعيتهم تقضي هذه القواعد أن يقبلوا يد الباشا في كل مرة "**، ويشير أن بعض الدول

[1] فاطمة الزهراء بيع، **الحياة الاجتماعية لليهود في الجزائر خلال العهد العثماني (1518 – 1830)**، مذكرة ماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، ص85.

[2] أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، 2001، ص ص41، 42.

[3] عمالي سعاد وآخرون، مرجع سابق، ص62.

استطاعت أن تحرر قناصلها من هذا التقليد المهين، وبعدها تم إلغاء هذه العادة بالنسبة لجميع قناصل هذه الدول، حيث أصبح القناصل يصافحون الحاكم وينحنون أمامه، كما أنه وجد بعض القناصل الذين كانوا ينتحلون الحجج لتفادي هذه العادة .[1]

لم يكن القناصل مجبرين على دفع الضرائب وكانوا يقيمون في فنادق معينة أو يسكنون منازل خاصة داخل مدينة الجزائر أو ضمن أحياء معروفة مثل حي باب الوادي[2]، في حين يذكر العالم الألماني هابنسترايت أنه يوفر للقناصل الفرنسيين والانجليز والهولنديون أماكن إقامة ملائمة في المدينة وضواحيها ويسددون مقابلها كل سنة مبالغ مالية لأصحابها.[3]

4_ 2_ الأسرى المسيحيين:

شكل الأسرى المسيحيون أحد مصادر الدخل الرئيسية، فكل أسير كانت له قيمة محددة حسب مكانته، وغالبا ماكان ثمن إطلاق الأسرى الألمان أعلى من الآخرين لمهارتهم في شؤون البحرية[4]، فقد كان البحارة يبيعون أسراهم في سوق العبيد بعدما يأخذ البايلك نصيبه منهم، في حين كان يأخذ الداي بين الثمن والعشر من الأسرى[5] مما أدى إلى ظهور سوق النخاسة أو ما يسمى بالبادستان، وقد ظهرت بسبب الحروب التي كانت موجودة بين إيالة الجزائر ومماليك أوروبا وبسبب القرصنة الأوروبية على الجزائر والعكس.

---

[1] وليام شالر، مصدر سابق، ص ص67– 68.

[2] زينب عماري، **الحياة الاجتماعية في الجزائر (1800 – 1852)**، مذكرة ماستر في التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015، ص31.

[3] هابنسترايت، مصدر سابق، ص34.

[4] نفسه، ص42.

[5] صالح عباد، مصدر سابق، ص ص360، 361.

وجد بالجزائر خلال العهد العثماني الملكية الفردية الخاصة بالسكان العاديين، حيث يشتغل هؤلاء الأسرى سواءً في المنازل أو المزارع، وقد ذكرت ماريا مارتين والتي عاشت في الجزائر أوائل القرن 19 أنها بيعت لأحد السكان الذي سجلها عند القاضي كملكية خاصة حيث كلفت برعاية ابنه [1]، وكان الأسرى يمثلون علامة من علامات الغنى خصوصا في أواخر العهد العثماني حيث قل عددهم وارتفعت أسعارهم، وكان الأتراك يعاملون العبيد البيض معاملة حسنة، وقد أمر الداي جعفر باشا (1581 – 1582) بإزالة الحديد عنهم ومنع ضربهم أو تعذيبهم ومنحهم الملابس الجيدة والغذاء والسماح لهم بإقامة العشائر الدينية وتناول الخمور، وكانت لهم كنائس ورهبان ومستشفيات خاصة بهم[2]، وقد ذكر هايدو أن حسن باشا أعطى إذن بإنشاء المقابر والمدافن الخاصة بالمسيحيين[3]، فحالة هؤلاء لم تكن أسوأ من حالة أسرى الحرب الذين يقعون في أيدي البلدان المسيحية المتحضرة، وكان الأسرى الذين يجدون كفيلا لهم يضمن عدم هروبهم يسمح لهم بحرية الخروج إلى حيث يريدون [4] وفي حالة محاولة الفرار فإنهم يعاقبون بالضرب.[5]

ويذكر بيفايبر: **" أنه أمسك به عند محاولته الهرب وأعيد إلى القصر وأمر كبير أمناء القصر بضربه بالفلقة فكان نصيب كل واحد مئة وخمسين ضربة على الأقدام"**[6]

---

[1] بلقاسم قرباش: **بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال الهد العثماني (1519 – 1830)**، مجلة الدراسات التاريخية (مجلة فصلية محكمة)، العدد1، الجزائر، ديسمبر2013، ص133.

[2] عبد القادر حليمي، مرجع سابق، ص280.

[3] Fray Diego de Haëdo **, De La Captivité à Alger** , TRADUCTION DE MOL INER-VIOLLE LIBRAIRE- EDUTEUR , ALGER TYPOGRAPHIE ADOLPHEJOURDAN IMPRIMEUR-LIBRAIRE-ÉDITEUR ,ALGERIA,1911,p217.

[4] وليام شالر، مصدر سابق، ص99.

[5] جيمس ويلسن ستيفان، **الأسرى الأمريكان في الجزائر(1785– 1797)**، تر: علي تابليت، منشورات تالة، الجزائر 2007، ص178.

[6] سيمون بيفايبر، **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، تع: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974، ص ص22، 23.

لم يكن الأسرى المسيحيين بمعزل عن المجتمع الجزائري بل كانوا يختلطون بأهله ويعملون معهم، فالعلاقة بين أفراد المجتمع والعبيد المسيح لم تكن كلها مبنية على الاعتبارات المادية، وإنما كان منها ماهو مبني على الاعتبارات الروحية أيضا، لأن هؤلاء الأسرى مهما كانت الخصائص التي يشتركون فيها من عناصر الملكية الأخرى فهم يبقون دائما متميزين عنها بكونهم بشر تجمعهم مع أسيادهم الخاصية الإنسانية.[1]

لعب الأسرى المسيحيين دورا بارزا في الحياة اليومية للسكان وأحيانا في المغامرات السياسية ، بل لقد كان فيهم من قربه أهل الحكم والحظوة إلى السلطة نفسها، فأصبح يؤثر فيها كمستشار أو وزير أو قائد أو مدرب عسكري، مثل ما حدث مع تيدينا الذي أصبح يشتغل وزيرا لدى باي معسكر[2]، وقد كان يكسب الكثير من هؤلاء الأسرى ثروات طائلة من وراء هاته المناصب، والعبيد الموظفون في القصر أو الملحقون بالشخصيات الكبيرة في الدولة يعاملون بأقصى اللطف وبصفة عامة فإن كل عبد له ميل إلى الحركة والعمل يجد الوسيلة لكسب رزقه، وقد وجد من العبيد من غادر الجزائر وقلبه مفعم بالأسى والحسرة.[3]

كانت مكانة الأسرى تزداد عندما يعتنقون الإسلام مما يقوي العلاقة بين الأسرى والحكام ويجعلها تقرب من الأخوة لأنها قائمة على الدين، وهو ما يجعل الأسياد يحسنون إليهم وذلك بعتقهم بدل بيعهم والتصدق عليهم بدلا من استخدامهم واستغلالهم، وذلك كله استجابة لأوامر الإسلام، ويتجلى هذا في قول سبنسر: " ... **بمجرد ارتداد أحدهم فإنه يستطيع الدخول في خدمة الحكومة ويصبح له أمل في التأهل لكل المناصب العالية**

[1] زينب عماري، مرجع سابق، ص33.

[2] حميدة عمراوي، **الجزائر في أدبيات الرحالة والأسرى خلال العهد العثماني**، مذكرات تيدينا أنموذجا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص58.

[3] وليام شالر، مصدر سابق، ص100.

وإن الوضعية القانونية لكل المرتدين المسيحيين تبدو وكأنها أحسن من سكان الجزائر المسلمين من غير الأتراك"[1]

وذكر بيفايبر أن صديقه الهولندي أعلن إسلامه فأُرسل إلى قسنطينة ووضع تحت تصرفه مالا ودار وعدد من العبيد وقد تزوج من البنت الوحيدة لأمين بيت مال باي قسنطينة.[2]

5 _ علاقة السلطة بالوافدين:

5 _ 1 _ البساكرة:

يطلق اسم البسكري على كل من جاء من جهة الصحراء الشرقية وكان أسمر أو أسود البشرة ، سواءً كان من أهل الزاب أو من أهل تقرت ووادي سوف وغيرهم [3] ، وكان البساكرة يقومون بأعمال وضيعة في المدينة وضواحيها ، فقد كانوا سقائين وحمالين وخدامجية (أي خدام أجراء) ، وعمل البعض منهم كباعة متجولين وبحارة [4] ، وكان البسكريون مسالمون ومخلصون كثيرا حيث كانوا يستخدمون في المنازل وقد تمتعوا بثقة كبيرة .

كان من البساكرة من اشتغل في قصر الحاكم، فقد ذكر بيفايبر أنه عندما أصبح طبيبا في قصر الوزير كان يشرف على خدمته بسكريان [5]، وكان يرأسهم أمين يعينه الداي بناءاً على اقتراح الخزناجي، وهذا الأمين يمثلهم لدى البايلك ويجمع غراماتهم

[1] وليام سبنسر، مرجع سابق، ص ص98، 99.

[2] سيمون بيفايبر، مصدر سابق، ص52.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، مرجع سابق، ص156.

[4] أمين محرز، مرجع سابق، ص154.

[5] سيمون بيفايبر، مصدر سابق، ص ص26، 27.

العالية ليتلقى راتبه من البايلك، الذي كان عبارة عن أربعة عشر خبزة في اليوم والقليل من الزيت وكيسين من الحبوب وأربعة أمتار من القماش كل شهرين.[1]

كان البسكريون يخضعون لسلطان الجزائر ويعتبرون من أهدأ العناصر، حيث كانت تستخدمهم الحكومة في إنجاز الأشغال العمومية، كما يعملون وسطاء في التجارة بين الجزائر وغدامس[2]، وقد لجأت إليهم السلطة في حفظ الأمن ليلاً من خلال حراسة الدكاكين والحوانيت، حيث أوكلت هذه المهمة إلى حوالي مائة وخمسين منهم، وإذا تعرض أحد الدكاكين إلى السرقة فإن المسؤولية تقع على عاتقهم ويضطرون إلى تعويض المتضرر ، وإذا أثبت تواطؤ أحدهم مع اللصوص فإن الداي يعاقبه بالشنق.[3]

5 _ 2 _ بني ميزاب:

تنتسب هذه الجماعة إلى وادي ميزاب في الجنوب الصحراوي المشهور بواحاته الست أكبرها غرداية، وقد تميزت هذه الواحات بالفقر لذلك كانت هجرة بنيي ميزاب إلى مناطق التل والشمال اضطرارية، وقد ذهب بعضهم إلى أن الهجرة انتظمت منذ القرن 14 م [4]، ولم تندمج هذه الفئة مع المجتمع الحضري والسبب في ذلك هو الاختلاف في المذهب ، حيث يتبع بني ميزاب المذهب الإباضي[5]، أما عن نوعية أعمالهم فيذكر

---

[1] صونيا مزوزي، **السلطة والمجتمع في الجزائر أواخر عهد الدايات (1792 – 1830)**، مذكرة ماستر في التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015، ص41.

[2] وليام شالر، مصدر سابق، ص ص109– 110.

[3] محمد بوشنافي، **النظام والأمن في مدينة الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال مصادر أجنبية**، الحوار المتوسطي مج2، العدد1، 10 مارس 2010، ص101.

[4] عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2000 ص23.

[5] حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص169 .

كاثكارث أنهم تربوا على العمل في الحمامات منذ طفولتهم، بالإضافة إلى العمل في المخابز والموانئ والمصابغ والمدابغ وقد كان منهم من يعمل عند القناصلة الأجانب.[1]

تجاوزت هذه الفئة حوالي الألف شخص في مدينة الجزائر في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر ميلادي [2]، ويقول عنهم شالر: " ... **الميزابيون قوم هادئون نشطون في التجارة ومشهورين بالأمانة والنزاهة في الأعمال.**"[3]، وقد اعترف الميزابيون منذ انتصاب الأتراك بالتبعية للديوان، وتمتع الميزابيون بعدة امتيازات بسبب الخدمات التي قدموها للحكومة في صراعها مع الكراغلة[4]، فقد لعبوا دورا نشطا في تجارة القوافل الصحراوية وكانوا دون سواهم الوكلاء المحظيين بين الجزائر وبلاد السودان في تجارة ريش النعام والعبيد والتبر.[5]

5_ 3 _ الجيجليون:

كانوا يشكلون جماعة من جماعة البرانية وقد وفدوا من وطن جيجل بشرق الإيالة وتذهب بعض الروايات إلى أن استقرار أقدم العناصر الجيجلية بمدينة الجزائر يعود إلى عام 1516 حينما رافق هؤلاء الإخوة بربروسة عقب استنجاد أهل مدينة الجزائر بهم [6] وهنا يقول الوزان " ... **خضع الجيجليون من تلقاء أنفسهم إلى بربروس .** " [7]

---

[1] كاثكارث، مصدر سابق، ص94.

[2] تذكر عائشة غطاس عن الوجود الميزابي أنه كان قبل 1541 لأنهم شاركوا في دحر حملة شارلكان حسب ما تضمنته الرسالة التي أرسلوها إلى السلطات الفرنسية(ينظر: **الحرف والحرفيون**، ص24)

[3] وليام شالر، مصدر سابق، ص111.

[4] أحمد بحري، **الجزائر في عهد الدايات**، ج1، مرجع سابق، ص35.

[5] أمين محرز، مرجع سابق، ص153.

[6] حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص171.

[7] حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج1، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1983، ص52.

حظي هؤلاء بمكانة خاصة ذات امتيازات وحظوة، بل لقد كانوا في مرتبة جماعة الأتراك نفسها، حيث تمتعوا بحمل السلاح وارتداء الملابس المزركشة والمطرزة بخيوط الذهب على الطريقة التركية [1]، ولقد تمكن الكثير منهم من الحصول على ثروات وامتلاك المخابز والمنازل، حيث امتهنوا مهنة طهي الخبز للإنكشارية اعترافا لمؤازرتهم للأتراك في حرب الإسبان، ومن النشاطات التي استقطبت العناصر الجيجلية الغزو البحري.[2]

5 _ 4 _ القبائل:

كان يأتي عناصر هذه الفئة من المناطق الجبلية الممتدة من وادي يسر إلى جيجل وكان معظم أفرادها من العنصر الزواوي[3]، يتميزون ببياض البشرة ولهم قامة معتدلة وعضلات قوية [4]، ولم يكن القبائل محل ترحاب من طرف العثمانيين بسبب ثوراتهم ضد حكومة الجزائر وهنا يقول شالر: **"... والحكومة التركية التي يغار رجالها من ذكاء القبائل وشجاعتهم ، تعارض في استخدام هؤلاء في أي عمل منزلي كان ... "** [5]، لكن لكن بالرغم من محاولة الحكومة تشويه القبائل إلا أنهم استطاعوا أن يحسنوا صورتهم في نهاية عهد الدايات، فكانوا يشتغلون في المنازل والجنان بالفحوص ومارسوا نشاطات حرفية وتجارية مثل العمل في ورشات الحرفيين وبيع الزيت والصابون والعسل وكان بالمدينة سوق خاص بهم كما احتكروا صناعة الفحم.[6]

كان القبائلي لا يستقر في مدينة الجزائر مدة طويلة **" ... والقبائلي يتعلق بمسقط**

---

[1] عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر**، مرجع سابق، ص22.

[2] حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سابق، ص172.

[3] أمين محرز، مرجع سابق، ص155.

[4] وليام شالر، مصدر سابق، ص 115.

[5] نفسه، ص117.

[6] أمين محرز، مرجع سابق، ص155.

رأسه إلى حد بعيد، بحيث أن القناصل يجدون صعوبة كبيرة في الاحتفاظ بواحد منهم أكثر من ستة أشهر"[1]، وقد كانت الحكومة التركية تعمل على تغذية نيران الحروب التي كانت تنشب بين هذه القبائل وتستغل ميل القبائل إلى الشقاق لتزيدهم انقساما وتفريقا حتى تضمن لنفسها السيطرة عليها، وإذا كانت في حالة حرب معهم فإنها تكتفي بحرق وتخريب أراضيهم.[2]

5_ 5 _ الأغواطيون:

ينتمون إلى الجنوب الصحراوي إلى مدينة الأغواط، وتعود أصولهم إلى قبيلتي الزناجرة وأولاد نايل بمنطقة التل الصحراوي جنوب التيطري[3]، وهي جماعة ذات حجم صغير ولم يصبح توافدهم على المدينة ذا أهمية نسبية إلا في عشرية(1817- 1826) حيث رصدت إحدى عشرة حالة [4]، وكانوا يتولون الأعمال الوضيعة كبيع الزيوت أو الحراسة لقلة مصدر الرزق، أما الأغنياء منهم فكانوا تجارا يأتون إلى العاصمة لبيع منتوجاتهم كالتين والفحم والصابون، كما اشتهر الأغواطيون بالتنظيف ونقل الأوساخ.[5]

5 _ 6 _ الزنوج:

هم فئة جلبت في أغلب الأحيان من السودان أو من ضفاف نهر النيجر، حيث كان يصل إلى مدينة الجزائر سنويا مابين مائة وخمسين وخمسمائة عبد منهم خمسة وأربعون على شكل ضريبة عينية فرضت على واحات ورقلة وتوقرت وتماسين وذلك عقب حملة

[1] وليام شالر، مصدر سابق، ص117.
[2] نفسه، ص115.
[3] أمين محرز، مرجع سابق، ص156.
[4] عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر**، مرجع سابق، ص25.
[5] زينب عماري، مرجع سابق، ص19.

صالح ريس سنة 1552[1]، وكانوا يشتغلون في زراعة البساتين ورعي الحيوانات وبناء المنازل بالإضافة إلى الأشغال اليدوية كالحدادة والأواني الطينية، وكان يرأس الزنوج مقدم عُرف باسم قايد العبيد أو قايد قناوة، وكان من مهامه الدفاع عن مصالح أفراد جماعته أحرارا كانوا أو عبيدا[2]، ولم يكن وضع هؤلاء العبيد يشبه وضع العبيد في أوروبا حيث يقول شالر: **" ... سرعان ما يحصلون على حريتهم باعتناقهم الإسلام وهو عمل قلما يتأخر أحدهم عنه ، والمعروف أن الرقيق كان دائما هنا من النوع الخفيف وهو أقرب أن يكون نوع من العمل في مقابل العناية والحماية منه إلى العبودية "** [3]، وكان العبيد يشغلون أوقات فراغهم في الترفيه على أنفسهم بالاستماع إلى الموسيقى، فتقوم مجموعة منهم بحمل الطبول وقطعا حديدية ويقرعونها محدثين أصواتا إيقاعية بالأحياء وتدفع لهم قطع نقدية كمكافئة على صنيعهم هذا.[4]

مما سبق نستخلص أن علاقة السلطة بسكان المدن اختلفت من فئة إلى أخرى ومن حاكم إلى آخر، حيث تميزت بالتقارب أحيانا وبالصراع والتناحر أحيانا أخرى، ومن أهم مظاهر التقارب بين السلطة وسكان المدن الإعفاء من الضرائب ومنح الامتيازات والمناصب الإدارية والاحترام والتمجيد، في حين تميزت مظاهر الصراع بالثورات والتمردات على السلطة التي مارست أساليب النفي والقتل والإبعاد من المناصب، ولعل أهم الأسباب المتحكمة في هاته العلاقة هي المصالح المشتركة بين الطرفين.

[1] أمين محرز، مرجع سابق، ص158.

[2] نفسه، ص 158.

[3] وليام شالر، مصدر سابق، ص ص116، 117.

[4] أحمد بحري، الجزائر في عهد الدايات، ج1، مرجع سابق، ص42.

الفصل الثاني :علاقة الحكام بسكان الأرياف

كان سكان الريف خلال العهد العثماني في الجزائر يشكلون الأغلبية الساحقة من المجتمع وقد توزعوا بين المناطق الجبلية والسهلية والصحراوية، وإذا أردنا تقسيم سكان الأرياف حسب معيار المكانة الاجتماعية وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة والتي سنفصل فيها في هذا الفصل فإننا نجد أن هناك قبائل المخزن وقبائل الرعية والقبائل الحليفة والقبائل المستقلة، بالإضافة إلى الأعراب.

1 _ علاقة الحكام بقبائل المخزن

هي تجمعات سكانية اصطناعية متمايزة في أصولها، مختلفة في أعراضها، فمنهم من أقرها الأتراك في الأراضي التي وُجِدوا عليها لتكون سندا لهم، ومنها من أُعطِيت لهم الأراضي كي يستقروا عليها، ومنهم من استُخدِموا كمغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة ليُؤلِفوا جماعة عسكرية مرتبطة بالحكومة التركية، فمخزن القبائل والتيطري كانا من العبيد، أما الحراكتة فأقروا على أراضيهم.[1]

اتخذت الغالبية الكبرى من قبائل المخزن تسميات محلية وألقابا خاصة بها استمدتها من مواطنها الجديدة، أو اشتقتها من الوظائف التي كانت تمارسها والمهام التي كانت تقوم بها، أو استعارتها من نوع السلاح الذي كانت تحمله فأفراد مخزن الزواتنة عُرِفوا بهذا الاسم لتوطنهم على ضفتي وادي الزيتون، ومخزن المكاحلية عُرف بذلك لنوع السلاح الذي اشتهرت به فرسانه ، والمجموعة المخزنية من عزارة ومخازنية وزمول عرفوا بهذه

[1] حسين بوخلوة: **عبد الكريم الفكون القسنطيني– حياته وآثاره– (1580– 1633)**، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة السانية، وهران، الجزائر، 2008، ص26.

الأسماء نظرا للمهام التي كانوا يمارسونها والتنظيم العسكري الذي كانوا يخضعون له[1] في حين كانت تسمى في الشرق بنبلاء السيف أما في الغرب فيسمون بالأجواد.[2]

كانت تتمركز هذه القبائل في الأماكن الإستراتيجية وفي ضواحي المدن والحاميات وفي الأسواق وبجانب مخازن الحبوب والطواحين وغيرها، وتكلف بحراسة الأبراج والحصون والممرات الرئيسية والمعروفة بالطرق السلطانية والتي كانت تربط مراكز البايلك في مدن قسنطينة والمدية ومعسكر ووهران بمركز السلطة في الجزائر، والمسالك الجبلية فكانت قبائل المخزن في بايلك الغرب تظهر على الخريطة في توزيعها على شكل خطين متوازيين، الأول يأخذ جوانب الجبال التلية من سبخة وهران إلى منتصف وادي الشلف والثاني من أطراف الصحراء من سعيدة إلى سبدو وهو ماكان يسمح بمراقبة قبائل الرعية.[3]

لعبت قبائل المخزن دورا في تدعيم الحكم العثماني وطبع الريف الجزائري بطابع خاص، فقد كانت حلقة وصل بين الأهالي والحكام ورابطة متينة شدت المحكوم إلى الحاكم [4]، من خلال المهام الأساسية التي قامت بها والمتمثلة في مساندة الباي وممثليه في قمع التمردات وتسهيل تنفيذ بعض القرارات الإدارية، وكان لها دور أساسي في إدارة الإيالة، وقد لجأت السلطة لهذه القبائل لاستنزاف موارد الريف الاقتصادية وسد حاجاتها من الأموال والثروات وهو ما يفسر إرسال الحملات العسكرية كل فصل ربيع وخريف نحو

[1] ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية– دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**–، ط2، دار البصائر الجزائر، 2009، ص207.

[2] عبد القادر بلغيث، **الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني**، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، وهران ، الجزائر، 2014، ص118.

[3] توفيق دحماني، **الضرائب في الجزائر**، مرجع سابق، ص429.

[4] ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، مرجع سابق، ص206.

الأرياف تتقدمها فرق الانكشارية وقبائل المخزن، فحضور رجال المخزن ضروري عند عملية جباية الضرائب، لأنهم أصبحوا يشكلون جزءاً هاما في المحلة التي كانت توجه سنويا لجباية الضرائب [1]، وبهذا أصبحت قبائل المخزن يد السلطة التي تؤمن بها تدعيم إجراءاتها الإدارية والحربية، وبالتالي أصبحت سلطة الدولة تقاس بمدى نشاط هذه القبائل خاصة وأنها تقدم خدمات للبايلك من غير أن تحمله أعباءاً مالية كالتي تفرضها فرق الأوجاق، وقد ذُكر هذا النوع من القبائل في رحلة محمد الكبير إثر حملته العسكرية **" وبعث معهم خدامه المخازنية لخلاص ذلك على العادة المعلومة في الرعية"** [2]

كان على الفارس المخزني في الجزائر أن يلبي الخدمة العسكرية متى وُجه الأمر بذلك، ويبقى مجندا طوال المدة التي تكون الحكومة في حاجة إليه، وعليه أن يتحمل كل المصاريف التي تتعلق بحاجاته اليومية دون أن يتلقى أي تعويضات على ذلك بعد إنهاء الخدمة [3] وللحصول على تلك الخدمات كان على البايلك تقديم بعض الامتيازات منها التنازل عن بعض حقوقه لها، وكانت أهم تلك التنازلات الإعفاء من دفع الضرائب فكانت بعض القبائل المخزنية في بايلك الغرب لاتدفع سوى ضريبة الزكاة والعشور بالإضافة إلى منح فرسان المخزن السلاح والمئونة وتوفير الخيول ودفع مرتبات مؤقتة، كما كانت تمنح لها الأراضي الزراعية يستغلونها بواسطة الفلاحين الذين كانوا يشتغلون بها إما في الحقول أو رعاية وحراسة المواشي[4]، وعن امتيازات هذه القبائل أشار ابن هطال إلى منح العينة لقبائل المخزن في جهة الغرب بقوله:**" وجد خدامه المخازنية تعرضوا له بإبل الأحرار**

---

[1] كاميليا دغموش، **قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509 – 1792)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، وهران ، الجزائر، 2013، ص ص103، 104.

[2] أحمد بن هطال التلمساني، **رحلة محمد الكبير إلى جنوب الصحراوي الجزائري**، تح: محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1969، ص78.

[3] حنيفي هلايلي، **بنية الجيش الجزائري**، مرجع سابق، ص86.

[4] كاميليا دغموش، مرجع سابق، ص104.

فعزل منها أربعين جملاً قسمها على من مات له شيء، بعدما كان أعطى لكل من مات له عوض ما هلك له"[1]

لعبت قبائل المخزن التابعة للغرب دورا مهما، نظرا لتميز هذا البايلك بخصائص تمثلت في الوجود الإسباني منذ مطلع القرن السادس عشر، بالإضافة إلى القبائل المتحالفة معهم مثل أولاد عبد النور وقيزة من جهة، ومن جهة أخرى سلاطين المغرب وأطماعهم التوسعية في المنطقة، هذا بغض النظر عما ينتفعون به من الغنائم والأسلاب وأبرز مثال على ذلك ما منحه الحاج أحمد(1826– 1837) آخر بايات قسنطينة لفرسان المخزن عندما أغار على قبيلة عبد النور وأحلافها، حيث أعطى 30 ريال لكل فارس يستظهر برأس من رؤوس الأعداء، ومنح 10 ريالات لكل من يغنم بندقية للعدو مع الاحتفاظ بكل ما يتم الاستيلاء عليه من اللباس والمتاع، وما ساعد هذه القبائل على الحصول على هذه الامتيازات هي مواقعها الإستراتيجية والأماكن الحصينة والنقاط المكلفة بحراستها.[2]

الأمر الذي جعل هذه القبائل تحظى بوضعية اجتماعية خاصة ومميزة في هرم الطبقات الاجتماعية بالريف حيث أصبحت في قمة الهرم الاجتماعي وبديلا عن العنصر الحاكم في غيابه [3]، فبفضل الخدمات العسكرية التي كانت تقدمها قبائل المخزن تمكنت السلطة من بسط نفوذها في الأرياف والقضاء على الحركات المعادية لها.

وقد أخذ نفوذ قبائل المخزن يزداد أواخر العهد التركي، مع تراجع قوة السلطة المركزية فتجاوزت صلاحياتها وتملكت مساحات شاسعة من أراضي البايلك، فحين احتل

[1] ابن هطال، مرجع سابق، ص100.

[2] حنيفي هلايلي، **بنية الجيش الجزائري**، مرجع سابق، ص89.

[3] أحمد بحري، **الجزائر في عهد الدايات**، ج2، مرجع سابق، ص65.

الفرنسيون الجزائر كانت هذه القبائل أكثر من غيرها تماسكا وقوة [1]، وكانت السلطة تتعامل مع هذه القبائل عن طريق قادة فرسانها حتى يسهل على البايلك عملية مراقبتها.[2]

2 _ علاقة الحكام بقبائل الرعية

هي مجموعات سكانية خاضعة مباشرة للبايلك والمقيمة بالدواوير والدشرة والقرى المنتشرة في الجهات التي تراقبها قبائل المخزن وتعبرها الفرق التركية لجمع الضرائب [3] أو هي القبائل التي لم تحظى بأي امتياز من السلطة التركية، وهي التي كانت تدفع الضريبة والرسوم المختلفة، كما كانت تفرض عليها أعمال السخرة، وكانت وضعيتها أسوء من وضعية تلك القبائل التي لم تكن تخضع للسلطة المركزية.[4]

كانت قبائل الرعية ملزمة بدفع الضرائب بمختلف أنواعها مثل الزكاة والعشور والخراج واللزمة والمعونة والضيفة، وكانت تدفع في شكل عيني ونقدي، فكانت ضرائب العشور مثلا تدفع بقدر معلوم من الزرع حيث يذكر حمدان خوجة مايلي: **" يؤخذ العشر أو الجزء العاشر من الإنتاج، وتوضع مقادير تلك الأعشار في صندوق الخزينة لدفع مرتبات الجيش، وللاعتناء بالفقراء وتربية الأيتام ودفع أجور القضاة."**[5]

وعلى ما يبدو هناك مرونة في طريقة دفع هذا النوع من الضرائب، إذ أن القانون يسمح للعاهل أن يتفاهم مع السكان حول تلك الأعشار واستبدالها بمبالغ معينة، وفي حالة

[1] صالح عباد، مرجع سابق، ص367.
[2] أحمد بحري، **الجزائر في عهد الدايات**، ج2، مرجع سابق، ص66.
[3] حسين بوخلوة، مرجع سابق، ص26.
[4] صالح عباد، مرجع سابق، ص367.
[5] حمدان خوجة، مصدر سابق، ص105.

ثبوت أن الأراضي لم تنتج شيئا فإن المزارعين يعفون من تلك الضرائب.[1]

كانت ضريبة العشور تحدد بعد الزويجات أو الجابدات، فقد ورد في الوثائق أن قبائل مليانة كانت مطالبة بدفع ثلاث كيلات من القمح ومثلها من الشعير على الزويجة الواحدة[2]، في حين كانت معظم أراضي بايلك الشرق الزراعية والتي كانت ملكيات خاصة تخضع لهذه الضريبة، حيث كانت توفر لمخازن الدولة كل سنة 20,762 قيسة من القمح والشعير، كما أن مداخيل أراضي العشور سنويا ببايلك التيطري كانت تقدر ب 1,330 حمولة جمل، كما كانت تلتزم هذه القبائل خاصة في الناحية الغربية بتقديم مساهمة مادية تشتمل على عدد من الخيل يكفي لركوب هيئة كبيرة من الفرسان ومجموعة من الدواب لتكون في خدمة البايلك وتعوض بها خيل فرسان المخزن[3]، وإلى جانب هذا كان أفراد هاته القبائل يتعرضون إلى أبشع أنواع الإهانات والإذلال وحتى التعذيب، وأمام هذا الوضع لجأ الفلاح إلى عدة طرق للتهرب من دفع الضرائب، فقد لاحظ شالر هجرة السكان نتيجة الظلم" **يهاجرون البلد ويتركون السهول الخصبة ليلجأوا إلى الجبال ويسكنوا قمما لاسبيل إلى وصول الأتراك وأعوانهم إليها**"[4]، مما نتج عنه إهمال الزراعة واقتصارهم على تربية المواشي، وبالتالي تفاقم ظاهرة البداوة.

أما سعد الله فيقول: " **وكان الذي لايستطيع أن يدفع اللزمة أو الحكر أو الضريبة يصبح مخزنيا أي خادما في صفوف المستغلين ، وبذلك يصبح هو بدوره مستغلا لغيره ... وهناك قبائل خرجت من حالة الرعية إلى حالة المخزنية** "[5]

[1] حمدان خوجة، مصدر سابق، ص106.

[2] توفيق دحماني، مرجع سابق، ص436.

[3] ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر**، مرجع سابق، ص ص84- 93.

[4] وليام شالر، مصدر سابق، ص59.

[5] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج1، مرجع سابق، ص157.

كما لجأت هذه القبائل في بعض الأحيان ونتيجة تعرضها للضغط والاستغلال إلى شق عصا الطاعة ضد الحكام الأتراك وحلفائهم قبائل المخزن، أملا في تحسين ظروفها المعيشية أو تحت تأثير التحريضات الخارجية.[1]

ولعل أبرز سبب في تراجع وتقهقر الوجود العثماني في الجزائر الذي تبعته ثورات قادها زعما دينيين، إلا أنها كانت رد فعل على التكاليف المالية التي أرهقت كاهل الأهالي من ضرائب وعوائد الرسوم [2]، وشاع الظلم في البلاد فقد أشار الورتلاني في مواضع كثيرة إلى انتشار الظلم والغش والفتن**" الظلم مهلك لصاحبه "** وقال صلى الله عليه وسلم:**" لم يكن شيء أصرع بصاحبه كالظلم، فكل واقعة من واقع الهلاك إلا كان سببها الظلم والتعدي "**[3]

وعلى رأي ابن خلدون: **"في المغارم والضرايب ضيما ومذلة لاتحتملها النفوس "**[4] ويقول أيضا: **" وتختلف الأيدي على الرعية في الجباية والأحكام فيفسد العمران "**[5]

3 _ علاقة الحكام بالقبائل المتحالفة

تتعامل هذه القبائل مع البايلك عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين الذين توارثوا الحكم، معتمدين في ذلك على كفاءاتهم الحربية أو الدينية أو أصالة نسبهم، منهم من

[1] ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر**، مرجع سابق، 40.

[2] نفسه، ص57.

[3] الحسين بن محمد الورتلاني، **الرحلة الورتلانية – نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج2، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2008، ص792.

[4] ابن خلدون، مصدر سابق، ص257.

[5] نفسه، ص272.

عرف بالأجاود أو النبلاء [1]، وقد غلب على العائلات التي تولت حكم مجموعات القبيلة المتحالفة الطابع الروحي في غرب البلاد" عائلات المرابطين " والطابع الحربي في الشرق وفي جنوب التيطري عرفوا" بالأجناد "، بينما العائلات التي تولت زعامة هذه المجموعة من القبائل بمناطق جرجرة والبابور والصومام اعتمدت في فرض زعامتها على أصولها العريقة " الأشراف"[2]، ونظرا للنفوذ الذي تمتع به زعماء هاته القبائل حاول البايلك ربط هذه المشيخات بالسلطة وإخضاعها لتصرف الحكام، فكانوا يتوددون إليهم ويطلبون بركاتهم وقاموا بإسقاط المطالب المخزنية وتقديم الهدايا وإصدار فرمانات التولية.[3]

بالإضافة إلى امتيازات أخرى، وهذا موجود في أحد القوانين العرفية التي كانت تنظم الحياة العامة في أعراش منطقة القبائل، وقد نص أحد البنود على **"إن المرابطين حرمة يأخذون من الأعراش أعشار الزرع والتين والزيت، فالأعراش التحاتة تدفع لأولاد سيدي حمزة، والأعراش الفواقة تدفع للشرفاء، والمرابطين يأمرون أعراشهم إلى طاعة المخزن والعافية"** [4]، فقد تمتع أولاد سيدي محمد الحاج بمكانة مرموقة بدليل تعاونهم مع السلطة في جمع الضرائب، حيث عملوا على استقطاب عدد من القبائل لصفهم بعدما طلبوا ترخيصا من السلطة لجمع الضرائب وقد منحته لهم (1711 م) ثم أوكلت لهم مهمة جمع ضرائب أولاد زيان والصحاري.[5]

---

[1] ليلى تيتة، **تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن 19**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد17 ديسمبر 2014، ص138.

[2] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ العثماني**، مرجع سابق، ص108.

[3] نفسه، ص109.

[4] سعاد عقاد، **الفلاحون الجزائريون السلطة العثمانية في الجزائر(1519– 1830)– دار السلطان أنموذجا–**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، وهران ، الجزائر، 2014، ص46.

[5] فوزية لزغم، **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة وهران، وهران ، الجزائر، 2013، ص453.

كان العثمانيون يمنحون شيوخ القبائل وقواد العشائر السيف والبرنس ويقطعونهم الأراضي، وكان الاختلاف بينها وبين قبائل المخزن أنه كان يسمح لها باختيار شيوخها[1] ولضمان استمرار ولاء المرابطين للسلطة، قام بعض الحكام العثمانيين أمثال علي بتشين بربط علاقات مصاهرة مع بعض الأسر القوية أمثال" آل القاضي "، كما صاهر "علي باي بن صالح " باي قسنطينة قبيلة " المقراني " بتزويج بناته الثلاثة بقيادات أسرة المقراني.[2]

كانت مجموعة من هذه القبائل حليفة للأتراك، ففي رحلة محمد الكبير نجد أن " بنو ميزاب " كانوا أحلافا لهم وقبائلهم طمعوا في ضم أراضي" بني الأغواط " بمساعدة باي الغرب [3]، وقد عمل الباي على التقرب إلى علمائها وصلحائها في كتابه إليهم:**" أخرجوا غدا عيالكم وأولادكم من هذه القرية الظالم أهلها وانحازوا إلى المدينة... وإن خفتم من بعض العسكر أن يوقع بكم وكلت بكم من يحرسكم ، ولاتخلطوا بالقوم التي أراد الله هلاكهم"** [4]، ويضيف ذات المصدر أن مشايخ " بني الأغواط " أعلنوا رضوخهم وطاعتهم لسلطة الباي**" وعندما وصل المنزل قدمت مشايخ" بني الأغواط " وعلمائهم بأيديهم صحيح البخاري ، طالبين الأمان قابلون أن يكونوا رعية."**[5]

أما عن وظيفة هذه القبائل فتمثلت في جمع الضرائب من الدواوير والدشر التابعة لهم، وكانوا يمثلون واسطة بين الأهالي البعيدين عن سلطة البايلك ورجال البايلك

---

[1] سعاد عقاد، مرجع سابق، ص45.

[2] حسان كشرود، **رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية (1659–1830)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، تخصص: التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2007، ص185.

[3] ابن هطال، مصدر سابق، ص78.

[4] ابن هطال، مصدر سابق، ص62.

[5] نفسه، ص53.

بالإضافة إلى أنهم كانوا بمثابة أداة يستخدمها الحكام في بسط نفوذهم غير المباشر على المجموعات القبلية التي يصعب إخضاعها.[1]

كما ذكر حمدان خوجة عن وظيفة هذه القبائل: **" وإذا اعتزمت إحدى القبائل على تشويش الأمن العام، فإن القبائل الأخرى تنضم إلى الأتراك لمحاربتها"** ويشير إلى مكانة مرابط القبيلة داخل المجتمع والاحترام الذي كان يحظى به، لذلك كان له دورا مهما في حفظ الأمن والطرقات، بحيث كانت لاتستطيع قافلة أو أي شخص أن يسلم من حوادث السفر مثل قطاع الطرق دون اتخاذ أحد المرابطين كمنقذ أو حاكم [2]، بالإضافة إلى أن المرابطين لعبوا دورا كبيرا في تجنيد المتطوعين لمحاربة الإسبان ومواجهة الحملات الصليبية على السواحل الجزائرية، بل إن المرابطين كانوا يزكون حكام الجزائر بعد اختيارهم، وفي الكثير من الأحيان كانوا يسافرون إلى القسطنطينية للدفاع عن هؤلاء الحكام.[3]

غير أن سياسة الحكام العثمانيين في التقرب إلى شيوخ القبائل ومرابطيها قد تغيرت خاصة في الفترة الأخيرة من العهد العثماني، إذ أصبحت السلطة تحاربهم حين تشعر بأن قوتهم زادت وأصبحت تهددها[4]، ولتقليل نفوذهم وإضعاف تأثيرهم في أوساط الريفيين أصبحت السلطة تخلق تنافس وتناحر بين أحلاف القبيلة الكبرى، وذلك بتشجيع الصراع العشائري، ومن أشهر الأحلاف المتصارعة على نطاق المياه ومجال الرعي والتي كان للحكام دخل في إضرام العداوة نجد: أحلاف عبد النور والحراكتة بالهضاب العليا القسنطينية، وأحلاف العشابنة والمخادمية وبني ثور وسعيد عطية بالصحراء، كما كانت

[1] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ العثماني**، مرجع سابق، ص109.

[2] حمدان خوجة، مصدر سابق، ص ص73، 74.

[3] صالح عباد، مرجع سابق، ص365.

[4] صالح عباد، مرجع سابق، ص363.

السلطة تقوم بشن الحملات الانتقامية المفاجئة، وذلك عندما تظهر من تلك القبائل بوادر الامتناع عن تقديم المطالب المخزنية أو يحاول بعض الزعماء التخلص من رقابة البايلك.[1]

كما تصدى المرابطين لقبضة البايات التي أصبحت تشتد في الداخل في منتصف القرن 18 وسعوا إلى إخضاع المزيد من القبائل، مما دفع المرابطين إلى التحول من وسطاء خير إلى مدافعين عن السكان، ثم إلى متزعمين للثورات التي بدأت منذ بداية القرن 19 في شمال قسنطينة وغربي بايلك الجزائر وفي جميع أنحاء بايلك وهران وتحولت بعض الزوايا إلى مراكز لتدريب الأتباع للقيام بالثورة ضد السلطة.[2]

بسبب ظلم وتعدي الحكام على الرعية بغير حق، فقد ذكر صاحب دليل الحيران أن الداي حسين أصبح يظلم الرعية، حيث كان يحرض عماله على جمع الغرائم التي يفرضونها على الرعية من دون موجب، ولما لامه بعض أصدقائه على المبالغة في ذلك وإرهاق الرعية بما لاتطيق، أجاب بقوله: **" إن أهل الجزائر قد أكلوني بالكلّيّة، ولذلك تراني أكلت الرعية "**، ولعل هذا ما دفع بالناس إلى الالتفاف حول الثورات مثل ثورة " ابن الشريف" بعدما كتب رسالة وجهها للناس:**" نزعنا عنكم ظلم الترك والذل والمسكنة والمكوس فالواجب عليكم مبايعتنا ، فوافقه جمعا غفير وخلق كثير"** كما نجد بعض المرابطين تعاملوا مع الاستعمار الفرنسي في مراحله الأولى على الأقل للحد من نفوذ الأتراك واستبدادهم مثل مرابطوا القليعة والتيجانيون وأولاد سيدي الشيخ وغيرهم.[3]

[1] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ العثماني**، مرجع سابق، ص109.

[2] محمد خير فارس، **تاريخ الجزائر الحديث– من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي(1500– 1830)**، ط1، [د ن] دمشق، سوريا، 1969، ص78.

[3] يوسف الزياني، مصدر سابق، ص20.

4_ علاقة الحكام بالقبائل الممتنعة أو المستقلة

تتمركز هذه القبائل في المناطق الجبلية أو الصحراوية كبلاد القبائل، الظهرة الونشريس، البابور، الأوراس وكذا الهضاب الوهراني والتخوم الصحراوية، وتدين هاته القبائل بالولاء والطاعة لزعمائها المحليين ما يعني أنها لاتخضع لنفوذ الحكام [1]، وقد تكلمت العديد من كتب الرحالة عن هذه المناطق المستقلة عن الحكم العثماني، مثل ما هو الحال بالنسبة للعياشي الذي تكلم عن حكام توقرت المعروفين بأمراء بنو جلاب **" أمراء هذه البلدة أولاد الشيخ أحمد بن جلاب وأسلافهم من بني مرين"**[2] ، كما ذكر الورتلاني الأسر الحاكمة المستقلة مثل الحنانشة والنمامشة وأسرة بن قانة وعن علاقاتهم ببايات تونس[3] ، ونفس الأمر إلى الأغواطي الذي أشار إلى بعض المناطق الصحراوية مثل سكان وادي ميزاب وعين ماضي وسكان جبل عمورة بقوله: " لايحكمهم سلطان ".[4]

وقد كانت هاته القبائل تمتنع عن دفع الضرائب، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى طبيعة نشاطها الاقتصادي حيث تعتبر أراضيها من أفقر الأراضي، مما جعل مردودها الزراعي ضعيفا، فقد كان نشاط تلك القبائل مقصورا على قليل من الزراعة وتربية المواشي والتجارة، مما جعل اقتصادها نادرا ما كان يلبي احتياجاتها اليومية [5]، وقد حاول حكام الجزائر مرات عديدة إخضاع هذه القبائل أو على الأقل الحد من استقلاليتها وإجبارها على مهادنة البايلك معتمدا على طرق مختلفة:

---

[1] عائشة غطاس، **الدولة الجزائرية الحديثة**، مرجع سابق، ص141.

[2] أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية (1661 – 1663)**، مج1، تح: سعيد الفضلي وسليمان القرشي ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، الإمارات، 2006، ص122.

[3] الورتلاني، مصدر سابق، ص ص136– 138.

[4] الأغواطي، مصدر سابق، ص ص88– 90.

[5] سعاد عقاد، مرجع سابق، ص48.

1 _ تنصيب حاميات وإقرار عشائر المخزن في الأماكن المهمة التي تتحكم في الأقاليم التي تعيش فيها هذه المجموعات السكانية المستقلة وبالتالي تراقب تحركاتها وتمنع اتصالها بقبائل الرعية.

2 _ التحكم في الأسواق الموسمية والأسبوعية الواقعة بالقرب من مواطن هذه القبائل وذلك من خلال تنصيب قيادة من الأتراك يستعينون بحاميات عسكرية تدعمها فرسان المخزن، حيث كان يمنع التعامل الاقتصادي مع القبائل المستقلة خارج هاته الأسواق، وكان الهدف من ذلك هو إجبارها على قبول قرارات السلطة، فحين تقصد هذه القبائل الأسواق تجبر على دفع رسما مقابل بيع بضائعها داخل السوق، وإن رفضت ذلك فإنها تمنع من بيع بضاعتها بل وحتى اقتناء ما كانت بحاجة إليه.[1]

كما كان البايلك كلما قوى جرد الحملات العسكرية على هذه القبائل، مما أدى إلى زعزعة استقرارها فغالبا ما تؤدي هذه الحملات إلى تدمير المداشر وإتلاف الأمتعة والزرع حتى تضطر القبيلة العاصية تحت وطأة سوء الأحوال المعيشية إلى الخضوع والمهادنة أو إلى الارتحال، أما إذا ضعف البايلك فهذه القبائل تزيد من تفردها على المناطق التي انحسرت منها سلطة البايلك، فإلى جانب امتناع هذه القبائل عن دفع المطالب المخزنية فإنها تصبح تهدد الأمن العام والمصالح الاقتصادية للبايلك.[2]

ويذكر ابن هطال واصفا إحدى المناطق التي شنت عليها الحملات العسكرية التابعة للبايلك، حيث حاول بايلك التيطري إخضاع هذه المنطقة التي كان سكانها مستقلين ولكنه فشل لقوة وبأس رجالها، غير أنها لم تقدر على مقاومة هجوم باي الغرب محمد بن عثمان، إذ يقول: **"وهذه المدينة تسمى زيتنة... وهي لبعض الأعراب الذين لاحكم**

[1] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ العثماني**، مرجع سابق، ص109- 110.
[2] أحمد بحري، **الجزائر في عهد الدايات**، ج2، مرجع سابق، ص ص82- 83.

عليهم لأحد وأهلها أصحاب قوة وعدة وعزة، وقد ذكروا له أن باي تيطري نزل عليها فطردوه وقتلوا له رجلين، وذهب مذموما مدحورا، فلما سمع كلامهم على هذا الوجه اشتدّ حرصه عليها وأراد النزول بقربها... فلما رآه أهل تلك القرية علموا أنهم لا قدرة لهم ولا طاقة لملاقاتهم، فخرجوا منها بأجمعهم ولم يأخذوا شيئا من أمتعتهم وقوتهم..."[1]

قد وصلت حالة التوتر في العلاقة بين الطرفين إلى ذروتها في أواخر القرن 18 بسبب امتناع عدد كبير من القبائل عن دفع الضرائب، ولعل المبرر لذلك هو تدهور الأوضاع الاقتصادية لتلك القبائل نتيجة لعدة عوامل كالأوبئة والأمراض والكوارث الطبيعية، زد إلى ذلك الضعف الذي أصاب الدولة خاصة بعد تراجع الغنائم البحرية ونقص عدد الأسرى، وبالتالي تراجع وضعف مداخيل الخزينة، مما أدى بالأعوان إلى الإفراط في جمع الضرائب، وهذا ما دفع بالعديد من القبائل إلى عدم التزامها بواجباتها إزاء الإدارة، فلجأت السلطة إلى استعمال العنف لضمان مورد الضرائب وخير دليل يثبت طغيان الإدارة العثمانية ما وقع لقبيلة ريغة في عهد الداي عمر(1815 – 1817) حيث كانت هاته القبيلة التي تقع بضواحي مليانة في حرب دائمة مع سلطة البايلك نتيجة رفضها دفع الضرائب، وكذلك الأمر بالنسبة للقبائل المجاورة لها مثل بني فراح والعطاف ومطماطة.[2]

في يوم من أيام السوق اعترض كراغلة مليانة سبيل قبائل ريغة التي كانت تتردد على السوق بعدما حصلت على الأمان من الإدارة، فشنوا هجوما على أهل ريغة وأحرقوا منازلهم وخيامهم، وهنا أصدر الداي عمر أوامره لباي الغرب وباي التيطري للسير ضد

[1] ابن هطال، مصدر سابق، ص ص49– 51.

[2] كاميليا دغموش، مرجع سابق، ص118.

هذه القبائل، وتم طردهم من عين السلطان ونقلهم إلى بايلك الغرب حيث استقروا هناك قرابة خمسة عشر عاما، وبعد صفح الداي عنهم عادوا إلى مواطنهم، إلاّ أن الإدارة قامت أثناء غيابهم ببيع الأراضي.[1]

كما نجد قبيلة سويد في صراع دائم مع العثمانيين، فقد كانت هاته القبيلة تتعرض إلى العديد من الغارات وفرضت عليها الكثير من الضرائب، إلى جانب سكان الأنجاد الذين كانوا كلما حان موعد استخلاص الضرائب توجهوا إلى الأراضي المغربية ثم يعودون بعد ذلك، كما كانوا يقطعون الطرق على القوافل التجارية بين البلدين.[2]

يعتبر كثير من المؤلفين الأوروبيين أن الأتراك لم تكن لهم السيادة على داخل بلاد شمال إفريقيا خاصة في المناطق الريفية، إذ لم تتمكن من بسط نفوذها بشكل مطلق على سكان هذه المناطق، ومنهم بارادي الذي يقول: **" بلاد زواوة لم تكن في يوم من الأيام تحت حكم الأتراك الفعلي، وهم الآن أكثر استقلالا ما داموا يملكون الأسلحة النارية، والطريقة الوحيدة التي كان التركي قادرا بها على فرض حكمه هي فيما يظهر تفضيل عنصر على آخر أو قبيلة ضد أخرى"**[3]

كانت قبيلة فليسة في حصانة من هجمات الأتراك، داخل أحيائها الجبلية، كما كانت هذه القبيلة ممتنعة عن دفع الضرائب إلى إدارة البايلك، مما أدى إلى إشعال نار الحرب عام 1767 م، بعد القبض على أحد أفرادها من طرف قائد سباو، كما عملت هاته القبيلة على التوسع وإخضاع القبائل المجاورة لها [4]، فقد ظلت السلطة العثمانية تترصد القبائل

[1] سعاد عقاد، مرجع سابق، ص49.

[2] كاميليا دغموش، مرجع سابق، ص119.

[3] جون. ب. وولف، مرجع سابق، ص ص175– 176.

[4] صالح عباد، مرجع سابق، ص166.

المستقلة والمحصنة بمواقعها الجغرافية خاصة الجبلية منها، وتجرد الحملات عليها وتضعها تحت مراقبتها، فقد ذكر ابن هطال عن منطقة القبلة أو الجنوب الشرقي لبايلك الغرب أنها كانت تتمتع باستقلال إذ لم تطأها أيدي السلطة فذكر ما يلي: **" اعلم أنه لما اتفق نظر سيدنا المذكور**(يقصد الباي محمد الكبير)... **في جهة القبلة رأى أنها ذات بلدان كثيرة وأعراب راحلة ومقيمة غزيرة، إلا أنها لم تنلها أيدي السلطة ولم تكن منها لملك مصلحة ولا منفعة معينة، كأنها أمة أبقت عن أهلها أو حرة نشزت من بعلها فشمر لها عن ساعد الجد، عازما على رد ما بها من النفار والصمد، فجمع جموعه وقواده ونشر أعلامه ولم يزد على أن كان جيشه حشمه وخدامه"**[1]

إلا أننا نلاحظ أن البايلك لايغامر في ملاحقة القبائل المستقلة إلى مناطقها، وإنما كان يقيم حاميات عسكرية لتراقب تحركاتها، وإذا لمست منها تمرد أو صعوبة في إخضاعها كانت تطردها، مما أدى ببعض القبائل إلى الاستسلام والخضوع لسيطرة البايلك.

إن اشتداد قبضة الإدارة العثمانية على القبائل الممتنعة كان نتيجة لتراجع مداخيلها الاقتصادية ، فلم يعد أمامها سوى فرض الضرائب والمطالبة بدفع المزيد منها، خاصة في الفترة الأخيرة من الوجود العثماني، حيث قابله عصيان وتمرد حاربته السلطة بمضاعفة الحملات العسكرية، مما دفع بالعديد من القبائل إلى التخلي عن نشاطها الزراعي لتتحول إلى قبائل بدوية متنقلة.[2]

[1] ابن هطال، مصدر سابق، ص ص36 – 37.

[2] سعاد عقاد، مرجع سابق، ص49.

وما يمكن استخلاصه هو أن العلاقة بين القبائل المستقلة والإدارة كان يغلب عليها طابع الصراع والحروب طوال العهد العثماني، وقد اشتد هذا الصراع خاصة في نهاية العهد العثماني الذي تميز بالضعف.

5_ علاقة الحكام بالأعراب

هي فئة تنتمي إلى البدو يغلب عليها طابع الارتحال وعدم الاستقرار، راجع لكونهم فئة تقتات على الغرات ونهب القوافل، والهجوم على المدن والأمصار، والراجح أن هذه الفئة يسودها الجهل والأمية وليس لديها نظام قبلي مثل باقي القبائل، وبالتالي ينعدم فيها المشيخة أو مقدم طريقة دينية ما، هذا إذا كانوا يعلمون من الدين شيئا، فحبهم للحرب وأفعالهم المشينة تدل على ذلك.[1]

وذكر العياشي أن معظم اللصوص كانوا من أعراب الصحراء الفقراء، الذين وُجدوا في كل مكان وكانوا يغِيرون فعلا على مؤخرة قافلة الحجاج، ويذكر أنه دار قتالا حقيقيا بينهم وبين حراس الركب انتهى بأن أخذ اللصوص نحو ثلاثين من الإبل بأحمالها، وقد كان الأعراب يفرضون في مناطق أخرى ضرائب المرور باسم" الخفارة " بمعدل قرشين على كل جمل وثلاثة قروش على جمال الفلاحين.[2]

يبدو أن هذه الفئة تتواجد عبر جميع أقطار الوطن العربي في المغرب والمشرق فقد ذكر العياشي في مواضع عديدة من رحلته تعرض ركب الحج إلى العديد من غارات الأعراب المفاجئة ومخاوف الحجاج منهم، إذ صادف وأن ألحقوا بهم الضرر بغير حق

[1] العياشي، **الرحلة العياشية**، مصدر سابق، ص202.

[2] أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، **ماء الموائد العياشي – الرحلة ليبيا ، طرابلس وبرقة** –، تح: سعد زغلول عبد الحميد، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1996، ص ص62– 64.

وقاموا بنهب أموالهم وبهائمهم، فقد كانت الأعراب تهاجم القوافل والمسافرين دون تمييز وذكر نفس المؤلف أنه عند طلوع الشمس جاء الأعراب بخيلهم ورجالهم وأحاطوا بالركب لكن الحجاج تصدوا لهم وقاتلوهم أشد القتال ولولا لطف الله لنُهب الركب.[1]

أما أحمد باي فقد كانت له نظرة مخالفة لهذه الفئة الضرورية في قوله لحفظ التوازن السياسي للقبائل: **" أن الحرب هي عادة الأعراب وأن الذي يريد حكمهم قد يتحتم عليه إبقاءها بينهم والتحريض على المنافسات بين القبائل المختلفة الأصول والأجناس، أما أوضاع السلم فإنها تقارب بين العرب وتوحدهم حول غرض واحد، وهذه حالة لاينبغي أن يطمئن إليها من كان يريد السيطرة عليها، إذ قد تأتي ظروف يتحد فيها هؤلاء الرجال كالإخوة ويجدون أنفسهم منضمين للقيام بالثورة "**[2]

كما أشار العياشي إلى التعاون الذي حصل بين الأعراب وأمراء الأتراك، فقد ذكر عن أمير ورقلة أنه استعان بهم ضد رعيته بالقضاء عليهم وأن لا يفلتوا منهم كبيرا أو صغيرا وتقدم إلى من هو خارج البلد من الأعراب أن يترصدوا خارج أسوار المدينة، فمن أفلت قتلوه [3]، وقد عانت بسكرة من ظلم الأعراب وتحالفهم عليها مع الأتراك وهنا قال العياشي في ذلك أبتليت بتحالف الترك عليها وعساكر الأعراب، يستولي عليها هؤلاء تارة وهؤلاء تارة، فتجمعت عليها غارة العرب من الخارج وظلم الترك من الداخل وقد أشرفت على الخراب، كما ذكر تخوف أهل بلدة بسكرة من أعراب أولاد نصر بن بوعكاز وحذرِهم من غاراتهم على إبل الركب ، فلم يسرح للركب سارحة إلا ما يشترون من الحشيش[4]

---

[1] العياشي، **الرحلة العياشية**، مصدر سابق، ص218.

[2] أحمد باي، **مذكرة أحمد باي**، [د ن]، باريس، 1971، ص40.

[3] العياشي، الرحلة العياشية، مصدر سابق، ص115.

[4] مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 ص101.

ونفس الملاحظة التي نقلها أحمد بن ناصر الدرعي عن بسكرة، أضر بأهلها جور الولاة حتى كاد الخراب يستولي عليها لضعف أهلها بالجبايات الظالمة، ويقول أيضا: **" كثر جور الأتراك بهذه البلاد وشاع بها الظلم والفساد"**[1] ، ويقول الورتلاني: **" طغت العرب وزاغت أهل البدو في تبسة وزمورة وبسكرة وحمزة وبوغني"**[2]

كما وُجدت فئة الأعراب في الغرب الجزائري، فقد ذكر ابن هطال هذه الفئة وعن محاولتها السطو ونهب محلة محمد الكبير، لكن محاولتهم باءت بالفشل وجاء هذا في قوله: **" فلما أحست به الأعراب التي في القعدة تحصنوا في جبل وعر ووادي حصين ... ثم وصل إليهم العسكر وصار يلتقطهم من تحت الأحجار ويخرجهم من الغيران"**[3]

وفي الصحراء الجنوبية ذكر الأغواطي أن طائفة في واد سوف تحمل نفس أوصاف الأعراب في أفعالهم المشينة**" لا يخضع سكان وادي سوف إلى حاكم، وهم دائما ينظمون الفرق ويسلبون العرب من أملاكهم ويصلون بغزواتهم إلى أراضي الطوارق"**[4]

ولعل السبب الرئيسي في عدم تغيير حياة الأعراب إلى الأفضل هو ظروفهم المعيشية والتي تميزت بعدم الاستقرار في مكان واحد، وجهلهم بالدين مما دفعهم إلى التشبث بحياة اللصوصية والنهب لتحصيل الرزق.

ما يمكن استخلاصه في الأخير أن سكان الأرياف كانوا مقسمين إلى فئات، فئة موالية للسلطة تمثلت في قبائل المخزن والتي كانت بمثابة قبضة السلطة في الأرياف نظرا

---

[1] أحمد بن ناصر الدرعي، **الرحلة الناصرية (1709 – 1710)**، ج1، تح: عبد الحفيظ ملوكي، ط1، دار السويدي أبوظبي، الإمارات، 2011، ص ص160– 161.

[2] الورتلاني، مصدر سابق، ص972.

[3] ابن هطال، مصدر سابق، ص ص46– 47.

[4] الأغواطي، مصدر سابق، ص96.

للخدمات التي كانت تقدمها مقابل امتيازات، وفئة خاضعة وأخرى شبه خاضعة كل ما يجمعها بالسلطة هو الالتزام بدفع الضرائب مقابل ضمان الأمن والعيش بسلام أو تقوم السلطة بشن حملات عسكرية ضدها في حالة امتناعها عن دفع الضرائب.

خاتمة :

من خلال دراستي لموضوع علاقة السلطة بالسكان في الجزائر خلال العهد العثماني توصلت إلى جملة من الاستنتاجات أهمها:

1 _ عرف المجتمع الجزائري تنوعا ملحوظا في التركيبة السكانية، إذ أنه كان عبارة عن خليط جمع أعراق مختلفة الأصول والديانة، خاصة بعدما أصبحت الجزائر إحدى الإيالات العثمانية.

2 _ كانت سلطة البلاد تقع على عاتق العنصر التركي الذي كان الآمر الناهي في الجزائر، خاصة منذ نهاية عهد البايلربايات الذي عرف تنوعا في الحكم.

3 _ كشفت الدراسة عن وجود فئة هامة في المجتمع و المتمثلة في نخبة العلماء الذين تمتعوا بمكانة رفيعة المستوى بين العامة والخاصة، كما ربطتهم علاقة مع السلطة إذ تميزت بالعلاقة الطيبة خاصة في بداية العهد العثماني، وهذا يظهر جليا في استعانة الحكام بهم وإصلاح ذات البين في كافة الأوطان مقابل تمجيد الحكام للعلماء ومنحهم الامتيازات، لكن هذه العلاقة لم تكن مع جميع العلماء ولا في كل العهود التي مر بها الحكم العثماني، وهذا ما يؤكده الصراع الذي جمع فئة العلماء والحكام في مواضع مختلفة.

4 _ ظهور فئة جديدة ذات جذور عثمانية جزائرية تتمثل في فئة الكراغلة، وهذا ما يؤكد اندماج العنصر التركي بالعنصر الجزائري من خلال ربط علاقات مصاهرة.

5 _ وصول اليهود إلى أعلى المراتب في المجتمع الجزائري بفضل سياسة التسامح مع الأديان التي انتهجها الأتراك، والتي مكنتهم من التغلغل وكسب نفوذ وفرض سيطرتهم

على الجوانب السياسية والاقتصادية، كما لعبوا دورا هاما في احتلال الجزائر بعدما كان اليهود فئة منبوذة في المجتمع الجزائري.

6 _ شكل المسيحيون إحدى فئات المجتمع الجزائري، إذ كانت شريحة الأسرى تعتبر أحد أهم ركائز الاقتصاد الجزائري.

7 _ تقسيم المجتمع الريفي إلى فئات متباينة من حيث علاقتها بالسلطة، إذ كانت قبائل المخزن تعد القبضة الحديدية للسلطة على الأرياف، من خلال الدور الاقتصادي والعسكري الذي لعبته هذه القبائل كجباية الضرائب وتأديب المتمردين.

8 _ انتهاج سياسة حفظ المصالح والاستغلال والجباية بالنسبة للقبائل الخاضعة وسياسة التقرب بالنسبة للقبائل المتحالفة من خلال التودد لشيوخها ومرابطيها، وأحيانا انتهاج سياسة فرق تسد وإتباع سياسة الإخضاع بالنسبة للقبائل المستقلة.

9 _ عرف العهد العثماني نشوب ثورات وحركات تمرد منها من قادها الكراغلة ومنها من قادها شيوخ ومرابطين، كان الدافع منها هو تقويض نفوذ الأتراك والتصدي لسياستهم المتمثلة في استحواذهم على زمام الحكم وانتهاج سياسة إبعاد الأهالي والكراغلة عنه ، بالإضافة إلى فرض الجباية وإثقال كاهل الرعية بالضرائب، خاصة بعد تراجع العائدات البحرية ونقص مداخيل الأسرى.

وعموما كشفت الدراسة أن العلاقة التي جمعت بين السلطة والسكان تميزت تارة بالتقرب وتارة أخرى بالتنافر والعداء، وكان العامل المتحكم فيها هو المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة.

قائمة المصادر والمراجع:

1 _ المصادر:

أ- المصادر بالعربية:

1_ الأغواطي الحاج ابن الدين، **رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان ودرعية**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع الجزائر 2011.

2_ باي أحمد، **مذكرة أحمد باي**، [د ن]، باريس، 1971.

3_ التلمساني أحمد بن هطال، **رحلة محمد الكبير إلى جنوب الصحراوي الجزائري** تح: محمد بن عبد الكريم عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1969.

4 _ ابن خلدون عبد الرحمن، **مقدمة ابن خلدون**، مج1، تح: أ. م. كاترميو، عن طبعة باريس سنة 1858، مكتبة لبنان، 1992.

5_ خوجة حمدان بن عثمان، **المرآة**، تح: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP الجزائر، 2005.

6_ الدرعي أحمد بن ناصر، **الرحلة الناصرية(1709– 1710)**، ج1، تح: عبد الحفيظ ملوكي، ط1، دار السويدي أبوظبي، الإمارات، 2011.

7_ ابن زكور الفاسي، **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان**، تح: مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

8 _ الزهار أحمد الشريف، **مذكرات أحمد الشريف الزهار**، تح: أحمد توفيق المدني الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

9_ الزياني محمد بن يوسف، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح: المهدي بوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

10_ العنتري صالح، **فريدة منيسة في حال وصول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها – تاريخ قسنطينة** –، ويليه روضة النسرين، تح: يحي بوعزيز عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

11_ مجهول، **مذكرات خير الدين بربروس**، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

12 _ المحامي فريد بك، **تاريخ الدولة العثمانية**، تح: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981.

13 _ المزاري الآغا بن عودة، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19**، ج1، تح: يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر 2009.

14 _ ابن ميمون محمد الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.

العياشي أبو سالم عبد الله ابن محمد:

15 _ـــــــــــــــــــــــــــ **الرحلة العياشية (1661 – 1663)**، مج1 تح: سعيد الفضلي وسليمان القرشي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي الإمارات، 2006.

16 _ـــــــــــــــــــــــــــ **ماء الموائد العياشي – الرحلة ليبيا**، طرابلس وبرقة –، تح: سعد زغلول عبد الحميد، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1996.

17 _ ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، تح: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.

18 _ الناصري محمد أبوراس، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته** تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، [د ت].

19 _ الورتلاني الحسين بن محمد، **الرحلة الورتلانية– نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج2، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008.

20 _ الوزان حسن، **وصف إفريقيا**، ج1، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2 دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

ب _ المصادر الأجنبية المترجمة للعربية :

1 _ بيفايبر سيمون، **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، تع: أبو العيد دودو الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

2_ شالر ويليام، **قنصل أمريكا في الجزائر**، تح: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

3_ شلوصر فندلين، **قسنطينة أيام أحمد باي(1830– 1837)**، تر: أبو العيد دودو، الجزائر، 2007.

4 _ كاثكارث جيمس لاندر، **مذكرات أسير الداي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب**، تر: إسماعيل عربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

5 _ هابنسترايت. أو. ج، **رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/ 1732 م)**، تر : ناصر الدين سعيدوني، دار المغرب الإسلامي تونس، [د ت].

2 _ المراجع:

1_ بن أشنهو عبد الحميد بن أبي زيان، **دخول الأتراك إلى الجزائر**، مكتبة جواد سماعي، الجزائر، 1972.

2_ آلتر عزيز سامح، **الأتراك العثمانيين في إفريقيا الشمالية**، ط1، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989.

3_ بحري أحمد، **الجزائر في عهد الدايات – دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية**، ج1، دار الكفاية، الجزائر، 2013.

4_ بلحميسي مولاي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني الشركة الوطنية للنشر والتوزيع**، الجزائر، 1981.

5_ الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، ج3، دار الأمة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2010.

6_ حليمي عبد القادر، **مدينة الجزائر– نشأتها وتطورها قبل 1830–**، ط1، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.

7_ خير فارس محمد، **تاريخ الجزائر الحديث – من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي (1500– 1830)**، ط1، [د ن]، دمشق، 1969.

8_ رايمون أندريه، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، تر: لطيف فرج ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.

9_ الزبيري محمد العربي، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

10_ سبنسر ويليام، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تح: عبد القادر زيادي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

11_ ستيفان جيمس ويلسن، **الأسرى الأمريكان في الجزائر(1785– 1797)** تر: علي تابليت، منشورات تالة، الجزائر، 2007.

12_ سعد الله فوزي، **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، ط2، دار الأمة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2004.

_ سعد الله أبو القاسم:

13_ـــــــــــــــــــــ **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر** ، ج1 ، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر ، 2007 .

14_ـــــــــــــــــــــ **تاريخ الجزائر الثقافي(1500– 1830)**، ج1 ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

15 _ـــــــــــــــــــــ **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال** ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، [د ت].

_ سعيدوني ناصر الدين :

16 _ـــــــــــــــــــــ **تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثماني – الجزائر تونس، طرابلس الغرب–**، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر، 2013.

17 _ـــــــــــــــــــــ **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني**، ط3 البصائر للنشر والتوزيع الجزائر، 2012.

18 _ـــــــــــــــــــــ **ورقات جزائرية – دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني–** ، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009.

19 _ سعيدوني ناصر الدين والمهدي البوعبدلي، **الجزائر في تاريخ العهد العثماني** المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

20 _ طوبال نجوى، **طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر(1700– 1830) من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

21_ عباد صالح، **الجزائر خلال الحكم التركي (1514 – 1830)**، دار هومة 2012.

22_ عبد القادر نورالدين، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر**، دار الحضارة الجزائر [د ت].

23_ عمورة عمار، **موجز في تاريخ الجزائر**، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع الجزائر، 2002.

_ عميراوي حميدة:

24_ــــــــــــــــ **الجزائر في أدبيات الرحالة والأسرى خلال العهد العثماني** مذكرات تيدينا أنموذجا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.

25_ــــــــــــــــ **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2005.

26 _ غطاس عائشة، **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 2007.

27 _ قنان جمال، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500– 1830)** دار هومة، الجزائر، [د ت].

28_ محرز أمين، **الجزائر في عهد الأغوات (1659– 1671)**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

_ المدني أحمد توفيق:

29 ـــــــــــــ **محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766 – 1791)**، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009.

30 ـــــــــــــ **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، 2001.

31 _ أحمد مريوش، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، [د ت].

_ هلايلي حنيفي :

32 ـــــــــــــ **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2008.

33 ـــــــــــــ **بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني**، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007.

34 ـــــــــــــ **العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة (1815 – 1830)**، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007.

35 _ وولف جون، **الجزائر وأوروبا(1500– 1830)**، تر: أبو القاسم سعد الله عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر، 2015.

3 _ الرسائل الجامعية :

1_ بلغيث عبد القادر، **الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني**، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، وهران الجزائر 2014.

2_ بوخلوة حسين، **عبد الكريم الفكون القسنطيني– حياته وآثاره– (1580–1663)**، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة السانية، وهران الجزائر، 2008.

3 _ بيع فاطمة الزهراء، **الحياة الاجتماعية لليهود في الجزائر خلال العهد العثماني(1518– 1830)**، مذكرة ماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.

4 _ حماش خليفة، **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2016.

5 _ بن خروف عمار، **العلاقات بين الجزائر والمغرب(1517– 1659)**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، 1983.

6_ دحماني توفيق، **الضرائب في الجزائر(1792– 1865) دراسة مقارنة** أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر 2007.

7 _ دغموش كاميليا، **قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية(1509– 1792)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، وهران ، الجزائر، 2013.

8_ شدري معمري رشيدة، **العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671 – 1830)**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 2005.

9_ صغيري سفيان، **العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671– 1830)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2011.

10_ عقاد سعاد، **الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519– 1830)– دار السلطان أنموذجا–**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة وهران، وهران ، الجزائر، 2014.

11_ عماري زينب، **الحياة الاجتماعية في الجزائر(1800– 1852)**، مذكرة ماستر في التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015.

12 _ عمالي سعاد وآخرون، **صورة المجتمع الجزائري من خلال بعض الرحالة المغاربة في العهد العثماني**، مذكرة ماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2014.

13_ غربي إيمان ومديحة طهير، **الكراغلة ودورهم في الجزائر خلال العهد العثماني (1518 – 1830)**، مذكرة ماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2016.

14_ غطاس عائشة، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر ، 2000.

15_ كشرود حسان، **رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية(1659– 1830)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث تخصص: التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر 2007.

16_ لزغم فوزية، **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، وهران ، الجزائر، 2013.

17_ مزوزي صونيا، **السلطة والمجتمع في الجزائر أواخر عهد الدايات (1792–1830)**، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015.

18_ مقصودة محمد، **الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، وهران ، الجزائر، 2014.

4 _ المقالات :

1_ الأعرج شيخ، **انتشار الطريقة التيجانية في بايلك الغرب أواخر القرن 18 وبداية القرن 19 ونشاطاتها المختلفة**، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد29، جامعة وهران1، وهران ، الجزائر، جوان 2016.

2_ بوشنافي محمد، **النظام والأمن في مدينة الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال مصادر أجنبية**، الحوار المتوسطي، مج2، العدد1، جامعة سيدي بلعباس، سيدي بلعباس، الجزائر، 10 مارس 2010.

3_ بوشيبة ذهبية، **العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني**، الحوار المتوسطي، مج3، العدد1،جامعة سعيدة، سعيدة ، الجزائر، مارس 2012.

4_ بيرم كمال، **فئة الكراغلة بالجزائر كراغلة مدينة المسيلة أنموذجا**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 11، جامعة المسيلة، المسيلة ، الجزائر، ديسمبر 2016.

5 _ تيتة ليلى، **تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن 19**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد17، ديسمبر 2014.

6_ عبو إبراهيم، **الثورات المحلية في الجزائر خلال العهد العثماني وموقف العلماء منها**، متون العلوم الاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر العدد3، ديسمبر2016.

7_ قرباش بلقاسم، **بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني (1519– 1830)**، مجلة الدراسات التاريخية(مجلة فصلية محكمة)، العدد1، جامعة معسكر، الجزائر، ديسمبر2013.

8_ المشهداني مؤيد محمود محمد وسلوان رشيد رمضان، **أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني(1518– 1830)**، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية(مجلة علمية محكمة)، مج5، العدد16، نيسان 2013.

4 _ المصادر الأجنبية :

1_ Fray Diego de Haëdo, **De La Captivité à Alger**
TRADUCTION DE MOL INER-VIOLLE LIBRAIRE- EDUTEUR ALGER TYPOGRAPHIE ADOLPHE JOURDAN IMPRIMEUR-LIBRAIRE-ÉDITEUR ,ALGERIA,1911.

فهرس المحتويات	
إهداء	
شكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	6-5
مدخل : التركيبة السكانية للجزائر خلال العهد العثماني	*14-8*
الفصل الأول : **علاقة السلطة بسكان المدن**	*46-15*
1 –العلماء	*24-16*
2 –الكراغلة	*31-24*
3 –اليهود	*37-31*
4 – المسيحيون	*41-37*
5 – الوافدون	*46-41*
الفصل الثاني : **علاقة السلطة بسكان الأرياف**	*67-47*
1 –قبائل المخزن	*52-48*
2 – قبائل الرعية	*54-52*
3 –القبائل المتحالفة	*58-54*
4 –القبائل الممتنعة أو المستقلة	*64-59*
5 _ الأعراب	*67-64*
خاتمة	*70-69*
قائمة المصادر والمراجع	*83-72*
فهرس المحتويات	*85*

ملخص الدراسة: شكلت مرحلة التواجد العثماني خلال القرن16 والتي فاقت ثلاثة قرون مرحلة مهمة، حيث عرفت منطقة المغرب الأوسط تغييرات في مجالات عديدة خاصة السياسية منها والاجتماعية، فقد أصبحت الجزائر ذات تنوع اجتماعي فإلى جانب تواجد الأتراك والكراغلة وظهور سلطة حاكمة جديدة في البلاد عرفت المنطقة موجة من الهجرات الداخلية والخارجية، فهاجر إليها من الخارج الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، بالإضافة إلى استقرار عائلات يهودية، أما داخليا فقد هاجر أهل المناطق الداخلية خاصة الصحراوية إلى المدن الكبرى، وأمام هذا التنوع نطرح الإشكال التالي: ما مدى ارتباط السلطة بالمجتمع؟ وكيف كانت علاقة السلطة بالسكان في الجزائر؟ وللإجابة على هذه الإشكالية تم تقسيم البحث إلى:

مدخل بعنوان: التركيبة السكانية للجزائر

الفصل الأول: علاقة السلطة بسكان المدن

الفصل الثاني: علاقة السلطة بسكان الأرياف

وخلال مراحل دراسة الموضوع تم التوصل إلى جملة من الاستنتاجات أهمها:

1 _ عرف المجتمع الجزائري تنوعا ملحوظا في التركيبة السكانية، إذ أنه كان عبارة عن خليط جمع أعراق مختلفة الأصول والديانة، خاصة بعدما أصبحت الجزائر إحدى الإيالات العثمانية.

2 _ كانت سلطة البلاد تقع على عاتق العنصر التركي الذي كان الآمر الناهي في الجزائر، خاصة منذ نهاية عهد البايلربايات الذي عرف تنوعا في الحكم.

3 _ كشفت الدراسة عن وجود فئة هامة في المجتمع و المتمثلة في نخبة العلماء الذين تمتعوا بمكانة رفيعة المستوى بين العامة والخاصة، كما ربطتهم علاقة مع السلطة إذ تميزت بالعلاقة الطيبة خاصة في بداية العهد العثماني، وهذا يظهر جليا في استعانة الحكام بهم وإصلاح ذات البين في كافة الأوطان مقابل تمجيد الحكام للعلماء ومنحهم الامتيازات، لكن هذه العلاقة لم تكن مع جميع العلماء ولا في كل العهود التي مر بها الحكم العثماني، وهذا ما يؤكده الصراع الذي جمع فئة العلماء والحكام في مواضع مختلفة.

4 _ ظهور فئة جديدة ذات جذور عثمانية جزائرية تتمثل في فئة الكراغلة، وهذا ما يؤكد اندماج العنصر التركي بالعنصر الجزائري من خلال ربط علاقات مصاهرة.

5 _ وصول اليهود إلى أعلى المراتب في المجتمع الجزائري بفضل سياسة التسامح مع الأديان التي انتهجها الأتراك، والتي مكنتهم من التغلغل وكسب نفوذ وفرض سيطرتهم على الجوانب السياسية والاقتصادية، كما لعبوا دورا هاما في احتلال الجزائر بعدما كان اليهود فئة منبوذة في المجتمع الجزائري.

6 _ شكل المسيحيون إحدى فئات المجتمع الجزائري، إذ كانت شريحة الأسرى تعتبر أحد أهم ركائز الاقتصاد الجزائري.

7 _ تقسيم المجتمع الريفي إلى فئات متباينة من حيث علاقتها بالسلطة، إذ كانت قبائل المخزن تعد القبضة الحديدية للسلطة على الأرياف، من خلال الدور الاقتصادي والعسكري الذي لعبته هذه القبائل كجباية الضرائب وتأديب المتمردين.

8 _ انتهاج سياسة حفظ المصالح والاستغلال والجباية بالنسبة للقبائل الخاضعة وسياسة التقرب بالنسبة للقبائل المتحالفة من خلال التودد لشيوخها ومرابطيها، وأحيانا انتهاج سياسة فرق تسد وإتباع سياسة الإخضاع بالنسبة للقبائل المستقلة.

9 _ عرف العهد العثماني نشوب ثورات وحركات تمرد منها من قادها الكراغلة ومنها من قادها شيوخ ومرابطين، كان الدافع منها هو تقويض نفوذ الأتراك والتصدي لسياستهم المتمثلة في استحواذهم على زمام الحكم وانتهاج سياسة إبعاد الأهالي والكراغلة عنه ، بالإضافة إلى فرض الجباية وإثقال كاهل الرعية بالضرائب، خاصة بعد تراجع العائدات البحرية ونقص مداخيل الأسرى.

وعموما كشفت الدراسة أن العلاقة التي جمعت بين السلطة والسكان تميزت تارة بالتقرب وتارة أخرى بالتنافر والعداء، وكان العامل المتحكم فيها هو المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة.